

كتاب مجلة " كَلِمَةُ حَقٍّ " (16)
هدية العدد (27) من مجلة " كَلِمَةُ حَقٍّ " أكتوبر - 2019

مختصر كتاب

التاريخ الشعبي للولايات المتحدة

(الجزء الثاني)

من (1492)

هوارد زن

هذه السلسلة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

لو أفنى الإنسان عمره في قراءة ما تكتبه الأقلام لم يبلغ أن ينهي منها إلا قدراً ضئيلاً، فالعقول لا تتوقف عن الإنتاج والمطابع لا تتوقف عن الهدير، وفي عصرنا هذا كاد الناس كلهم أن يكونوا أصحاب أقلام ولهم كتابات، فما عليك إلا أن يكون لك حساب على موقع تواصل اجتماعي فيكون قد صار لك منبر عام تكتب فيه.

ومن بين الكثير من الغثِّ قليلٌ من السمين، فأودية العقول كثيرة ونتاج الفلاسفة كغابة ضخمة متشابكة.. فالعلم النافع بالنسبة لبحور الأفكار كالدرر واليواقيت في أعماق البحار.

والعلم الذي تحتاجه أمة مهزومة مستضعفة تريد أن تنهض ليس كالعلم الذي تحتاجه الأمم في حال رفاهيتها ورخائها.. فإن أمتنا أحوج إلى فهم الدين الصافي الواضح كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي بحاجة إلى فهم الواقع المعاصر لتُحسِن إصلاحه بما لديها من الدين، وتحتاج إلى علوم النهوض وبناء الأمم أكثر من حاجتها إلى علوم الترف والزينة والزخارف. وفي طليعة علوم النهوض: فهم الدين والسياسة والتاريخ والعلوم الأمنية والعسكرية.. فالمكتوب في هذه الأبواب أولى بالعناية والاطلاع والدراسة من غيره.

وقد أنعم الله علينا في "مجلة كلمة حق " بفكرة أن نقدم مع كل عدد كتاباً كهدية، ونحن بين أن نستخرجه من كتاب مهم، أو أن يكون تلخيصاً لكتاب مهم، أو أن يكون ترجمة لتقرير مهم.. وهكذا، نختاره بحسب ما نقدِّر أهمية الاطلاع عليه.

ونرجو أن يعيننا القراء الكرام بترشيحاتهم ومجهوداتهم، فالباب مفتوح لكل مجهود..

نسأل الله أن يكون علما نافعا وعملا صالحا خالصا لوجهه الكريم

مجلة



مختصر كتاب

التاريخ الشعبي للولايات المتحدة

الجزء الثاني

من (1492)

هوارد زن

الفصل الرابع عشر

في الحرب عافية للبلاد

وسط الحرب العالمية الأولى، قال راندولف بورن أحد الكتاب الراديكاليين: "إن في الحرب عافية للبلاد". وفي حقيقة الأمر فإنه مع دخول الدول الأوروبية الحرب في عام 1914، انتعش الحس الوطني وتوقف الصراع الطبقي، وأيضًا لقي شباب حتفهم بأعداد رهيبة في ساحات القتال. لم تكن الولايات المتحدة قد اشتركت في الحرب بعد، ومع ذلك كانت هناك مخاوف بشأن سلامة الدولة؛ فالاشتراكية كانت تنمو وانتشر الاتحاد العالمي للعمال، وكان الصراع الطبقي في أوجه. اقترح سيناتور مدينة نيويورك، جيمس وادزورث إقامة تدريب عسكري إجباري لجميع الذكور حتى يتجنب الشعب خطر الانقسام إلى طبقات بدلاً من ذلك "يجب أن ندع شبابنا يعرف أن لديه مسؤولية تجاه هذا البلد".

وكان أعظم أداء لهذه المسؤولية يتم في أوروبا؛ حيث يموت عشرة ملايين في ميادين القتال، ويموت عشرون مليونًا من الجوع والمرض اللذين تسببت فيهما الحرب. ولم يستطع أحد منذ ذلك الوقت أن يدعي أن الحرب جلبت للإنسانية فائدة تستحق حياة واحدة تبذل في سبيلها. كان حديث الاشتراكيين بأن هذه الحرب استعمارية يبدو معقولاً ولا يستطيع أحد أن يجادل بشأنه، فقد كانت الدول الرأسمالية الأوربية المتقدمة تحارب من أجل مناطق نفوذ وتنافس على إقليمي إلزاس واللورين والبلقان ومنطقة الشرق الأوسط.

اندلعت الحرب بعد بداية القرن العشرين بوقت قليل وسط فرحة كبير بين صفوة المجتمع الغربي بالتقدم والتحديث. بعد يوم واحد من إعلان بريطانيا الحرب، كتب هنري جيمس: "إن سقوط الحضارة في هذه الهوة من الدمار والظلام، ليعد خيانة لعصر كامل طويل اعتقدنا خلاله أن العالم يتحسن تدريجيًّا".

مع تزايد خسائر بريطانيا وفرنسا في الجنود، وظهور حالات تمرد في صفوف الجيش الفرنسي، كانت هناك حاجة ماسة للقوات الأمريكية. كان الرئيس الأمريكي ويلسون قد وعد بأن تظل الولايات المتحدة على الحياد. لكن أعلن الألمان أن غواصاتهم ستغرق أي سفن تحمل مؤنا لأعدائهم، وأغرقوا عددًا من السفن التجارية. عندئذ أعلن ويلسون أن عليه أن يقف بجانب حق الأمريكيين في أن يسافروا على متن السفن التجارية في مناطق الحرب. لم يكن هذا التبرير مقنعًا على أي نحو. فقد كان البريطانيون يعتدون على حقوق المواطنين الأمريكيين في أعالي البحار ولم يقترح ويلسون بأن يشن حربًا عليهم. كان ويلسون مضطرًّا لأن يقدم أسبابًا قانونية لسياسات لم تكن قائمة على القانون ولكن على توازن القوى والمصالح الاقتصادية.

لم يكن من الواقعي أن نتوقع من ألمانيا ألا تعامل الولايات المتحدة كطرف محايد في الحرب في حين أن الولايات المتحدة كانت تنقل كميات كبيرة من المواد الحربية

عن طريق البحر لأعداء ألمانيا. عندما أغرقت ألمانيا السفينة البريطانية (لوسيتانيا) وتوفي على متنها أكثر من ألف شخص منهم **124** أمريكيًّا. ادعت الولايات المتحدة أن السفينة كانت تحمل شحنة عادية. لكن الحقيقة أنها كانت تحمل أسلحة كثيرة، وكانت الأوراق الرسمية للسفينة مزورة لكي تخفي حقيقتها، وكذبت الحكومتان الأمريكية والبريطانية بشأن هذه الحمولة.

في كتابه التراث السياسي الأمريكي يتناول ريتشارد هوفستاتر المصالح الاقتصادية وراء سياسة ويلسون في الحرب، ففي عام **1914** بدأت في الولايات المتحدة حالة ركود خطيرة. لكن مع حلول **1915** نشط الاقتصاد بسبب الطلبات الحربية للحلفاء (أكثره من إنجلترا)، وكما يقول هوفستاتر: "أصبحت أمريكا مرتبطة مع الحلفاء باتحاد مشؤوم من أجل الحرب والرخاء".

كان قادة البلاد يعتقدون أن الرخاء اعتمد على الأسواق الأجنبية بشكل كبير، وسعت الولايات المتحدة إلى فتح أسواق خارجية، تولى فيها الأثرياء المسؤولية المباشرة للاقتصاد.

يقول الكاتب دي بوا عن طبيعة الحرب العالمية الأولى: لقد كانت حربًا من أجل إمبراطورية، حربًا كان الصراع فيها على إفريقيا بين ألمانيا والحلفاء يمثل رمزًا وحقيقة. كانت ثروات إفريقيا مطمعًا لكل تلك الدول، كتب دي بوا قبل سنوات عديدة من كتاب لينين "الإمبريالية" الذي نبه فيه إلى إمكانية أن تشارك الطبقة العاملة للبلد الاستعماري في الغنيمة، حيث أشار دي بوا إلى التناقض بين "ديمقراطية" أعظم في أمريكا والتزايد في الأرستقراطية والكراهية تجاه الأجناس السوداء والملونة، ويوضح حقيقة هذا التعارض بحقيقة أن العامل الأبيض كان مطالبًا بالمشاركة في غنيمة استغلال الزنوج والصينيين.

شهد دي بوا براعة الرأسمالية في توحيد المستغِل والمستغَل وخلق صمام أمان

ضد صراع طبقي متفجر "إنه لم يعد في بساطة حكاية الأمير التاجر أو في الاحتكار الأرستقراطي أو حتى طبقة أرباب العمل التي تستغل العمل. إنها الأمة، أمة ديمقراطية جديدة تتكون من عمالة ورأس مال متحدين".

لقد عدلت الولايات المتحدة من فكرة دي بوا بحيث تناسب مصالحها. كانت الرأسمالية الأمريكية في حاجة إلى منافسة دولية -وحربًا تستمر لفترة- لكي تخلق مجتمعًا مصطنعًا من المصالح بين الفقراء والأغنياء يحل محل المجتمع الحقيقي للمصالح ما بين الفقراء والذي ظهر في حركات متفرقة. لكنه من الصعب معرفة كيف كان رجال السياسة والأفراد الذين يعملون بالمشروعات الاقتصادية على وعي بهذا لكن أفعالهم، وإن كانت غير واعية بالكامل وتقودها دوافع غريزية للعيش، قد تناسبت مع هذه الخطة، وفي عام **1917** تطلب الأمر إجماعًا قويًّا على دخول الحرب.

في الحقيقة لا يوجد سبيل لمعرفة الرأي العام في ذلك الوقت، كما لا يوجد دليل مقنع على أن الرأي العام لديه أي رغبة في الحرب. كان على الحكومة أن تعمل بجد لكي تخلق مثل هذا الإجماع. بعد الستة أشهر الأولى للحرب لم يتطوع للاشتراك سوى **73** ألف رجل وصوت الكونجرس على التجنيد بأغلبية ساحقة. وبدأ المتحدثون -**75** ألف متحدث- في التجول في أنحاء أمريكا لإقناع الرأي العام.

مع إعلان الكونجرس الحرب، أعلن الحزب الاشتراكي أنها جريمة ضد شعب الولايات المتحدة. وبدأت اجتماعات الحزب المناهضة للحرب تجذب أعدادًا ضخمة من المزارعين. وزادت شعبية الحزب بشكل كبير.

في يونيو **1917** وافق الكونجرس على قانون الجاسوسية الذي يتضمن مادة تنص على عقوبات تصل للسجن **20** سنة في حالة أن تكون الولايات المتحدة في حالة حرب ويحاول أحد أو يتسبب في العصيان أو الخيانة أو التمرد أو رفض أداء الواجب العسكري أو يعوق عملية التجنيد. وبعد شهرين تم القبض على أحد الاشتراكيين

بتهمة توزيع منشور يستنكر قانون التجنيد والحرب، وحكم عليه بالسجن ستة أشهر. بعد ذلك تم القبض على العديد من الاشتراكيين. كما ساهمت الصحف في خلق جو من الخوف لكل من تسول له نفسه معارضة الحرب. كما تم تشكيل دوريات القصاصين التي كان هدفها إنهاء الخطب المثيرة للشغب في الشوارع. كما أغلقت هيئة مينوسوتا للأمن القومي الصالونات ومسارح الأفلام المتحركة، وأخذت الأراضي من الأجانب، ونشطت السندات الحكومية وأجرت اختبارات ولاء للسكان. كما حثت الصحف من وصفتهم بأصحاب الحس الوطني على المشاركة في كبح الأعمال والمشاعر المناهضة للحرب والمثيرة للشغب. كما طالبت الحكومة الناس بأن يبلغوا عن أي شخص ينشر قصصًا محبطة تبعث على التشاؤم.

أعلن **65** ألف رجل أنهم لا يستطيعون القتال بسبب تعذيب الضمير وطالبوا بالعمل بالخدمات غير القتالية. كثيرًا ما كان هؤلاء يعاملون بوحشية سادية في القواعد العسكرية التي عملوا بها.

أما الكونجرس فقد أظهرت أصوات قليلة معارضتها للحرب، وعارضت أول سيدة تدخل مجلس النواب "جينيت رانكن" الحرب وصوتت ضدها.

أعطت الحرب الحكومة الفرصة للقضاء على الاتحاد العالمي للعمال. يذكر فيليب فونر في كتابه عن تاريخ الاتحاد العالمي للعمال الصناعيين أنهم لم يكونوا نشطين في مناهضتهم للحرب مثل الاشتراكيين؛ لأنهم كانوا يؤمنون بالحتمية، ولذلك اعتبروا الحرب شيئًا حتميًّا، واعتقدوا أنه فقط بالانتصار في الصراع الطبقي والتغيير الثوري يمكن إنهاء الحرب.

في بداية سبتمبر **1917** قامت وزارة العدل في توقيت واحد بمداهمة **48** صالة اجتماعات للاتحاد العالمي، حيث عثروا على مراسلات ومجموعة كتب تصلح لأن تكون دليلاً في محكمة، وألقي القبض على **165** من قادة الاتحاد العالمي بتهمة التآمر على

إعاقة عملية التجنيد وتشجيع الشباب على الهروب من الخدمة العسكرية، واستمرت المحاكمة مدة خمسة شهور، وكانت أطول محاكمة جنائية في تاريخ الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت.

انتهت الحرب في نوفمبر **1918** وكان قد مات فيها **50** ألف جندي أمريكي، وسرعان ما انتاب الجميع شعور باليأس والمرارة، وانعكس هذا على أدب عقد ما بعد الحرب.

وبالرغم من حالات السجن في أثناء الحرب والترهيب ونزعة الوحدة القومية، ظلت المؤسسة الحكومية على خوفها من الاشتراكية، وبعد نهاية الحرب كانت تبدو هناك حاجة مرة أخرى لطريقة لمواجهة التحدي الثوري، وتتمثل هذه السياسة المزدوجة في الإصلاح والقمع.

في صيف **1919** ذكر جوزيف تيو مالتي مستشار الرئيس ويلسون أن الصراع بين الجمهوريين والديمقراطيين ليس مهمًّا مقارنة بما يهددهما معًا.

وافق الكونجرس على ترحيل الغرباء والمهاجرين الذين لا يحملون الجنسية الأمريكية ويعارضون الحكومة.

تم إلقاء القبض على أعداد ضخمة واحتجازها لفترات طويلة في أماكن سرية وترحيلهم بعد ذلك، كما تم سجن أعداد ضخمة من المعارضين.

استخدمت المحاكم والسجون للتأكيد على أنه لا يمكن التسامح مع أفكار بعينها وأشكال مقاومة معينة، وكانت الرسالة الآتية من زنازين السجناء تقول: إن الصراع الطبقي لا يزال مستمرًّا في مجتمع يدعي أنه بلا طبقات وهو مجتمع الولايات المتحدة. وفي العشرينيات والثلاثينيات كان الصراع لا يزال مستمرًّا.

الفصل الخامس عشر

الأوقات العصيبة

كانت الحرب العالمية الأولى قد أوشكت على الانتهاء في فبراير عام **1919**، وكان زعماء اتحاد عمال العالم خلف القضبان لكن فكرتهم عن الإضراب العام تحولت إلى واقع في مدينة سياتل بولاية واشنطن لمدة خمسة أيام عندما تسببت مسيرة **100** ألف عامل في توقف الحياة. وتحول بعد ذلك إلى إضراب عام. سيطر العمال على المدينة وفرضوا القانون، ومنعوا استخدام القوة ضد الشرطة، فقط كما في إحدى المنشورات كان مسموحًا باستخدام وسائل الإقناع. انتهى الإضراب بعد خمسة أيام نتيجة ضغوط مسؤولي الاتحادات الدولية المختلفة، بالإضافة إلى صعوبة العيش في مدينة مغلقة. كان الإضراب سلميًّا، ومع ذلك فبعد انتهائه حدثت مهاجمات واعتقالات في مقر الحزب الاشتراكي. ثم حدثت عدة اشتباكات قتل خلالها عدد من قادة اتحاد العمال داخل المحكمة، بعد قيام جندي بإطلاق الرصاص عليهم.

لكن ما أسباب رد الفعل هذا تجاه الإضراب العام وتنظيم أعضاء الاتحاد؟ يعتقد عمدة سياتل أن المؤسسة ربما قد شعرت بالخوف، ليس من الإضراب ولكن مما يرمز إليه. قال: كان ما يسمى إضراب سياتل الذي تعاطف معه الناس محاولة للثورة، وعدم استخدام العنف لا ينفي هذه الحقيقة. لقد كان الهدف المعلن والمخفي هو إسقاط النظام الصناعي هنا أولاً، ثم في كل مكان بعد ذلك. نعم لم تكن هناك قنابل أو عمليات قتل، ولكني أؤكد أن الثورة لا تحتاج إلى العنف، والإضراب العام الذي حدث في سياتل هو نفسه سلاح الثورة وما يجعله يشكل خطرًا أكبر هو هدوءه. ومن أجل نجاحه كان لا بد من إيقاف كل شيء ووقف سير الحياة مما يعني إظهار الحكومة بمظهر العجز. لقد كانت جميع الأحداث تهدف إلى الثورة بغض النظر عن الطريقة التي تتم بها.

حدثت بعد ذلك إضرابات عديدة للعمال. لكن مع بداية العشرينيات بدا الموقف وكأنه تحت السيطرة، فقد تم القضاء على اتحاد عمال العالم، وتفكك الحزب الاشتراكي، وأُوقف المضربون بالقوة. وكان الاقتصاد يسير بخطى ثابتة بما يكفي فقط بحيث لا تقوم إضرابات.

اتسم وصف العشرينيات بفترة الرخاء والازدهار ببعض الصدق، ففي هذا العصر، عصر موسيقى الجاز والعشرينيات المزدهرة، انخفضت البطالة، وارتفع المعدل العام لأجور العمال، وتحسنت أحوال الناس.

طغت هذه الصورة على أحوال الآخرين كالمزارعين البيض والزنوج والمستأجرين وعائلات المهاجرين في المدن الكبيرة، ولم يستطيعوا الحصول على احتياجاتهم الأساسية.

حدث انهيار البورصة عام **1929** والذي كان بداية أزمة اقتصادية أدت إلى انهيار الاقتصاد بأكمله. ارتبك النظام الاقتصادي وأغلقت الكثير من البنوك، وفقد العديد وظائفهم، وانخفضت أجور الباقين. فقد الكثيرون منازلهم لعدم قدرتهم على سداد الإيجار، وفقد الكثير من الفلاحين مزارعهم وممتلكاتهم لعدم قدرتهم على سداد ديونهم. نظم العديد ومنهم المحاربون القدامى مسيرات ومظاهرات من أجل أسرهم التي تعاني الجوع، لكن تم تفريقهم بالقوة.

في انتخابات **1932** أطاح مرشح الحزب الديمقراطي فرانكلين روزفلت بهربرت هوفر بأغلبية ساحقة، ودخل البيت الأبيض ليبدأ برنامجًا إصلاحيًّا عرف باسم الصفقة الجديدة. وعندما خرجت مسيرة صغيرة للمحاربين القدامى في واشنطن في بداية فترته الرئاسية، قام بتحيتهم وقدم لهم القهوة، واجتمع بهم أحد مساعديه، ثم عادوا إلى منازلهم، وكانت هذه إحدى الإشارات على نهج روزفلت.

فاقت إصلاحات روزفلت التشريعات السابقة، فقد كان عليه مواجهة حاجتين أساسيتين؛ الأولى إعادة تعريف الرأسمالية حتى يمكنها التغلب على الأزمة والعمل على استقرار النظام. والثانية إيقاف الإضرابات العشوائية التي وقعت في بداية فترته، والتي تمثلت في تنظيم صغار المزارعين والمستأجرين والعاطلين وحركات الاعتماد على النفس والإضرابات العامة في العديد من المدن.

كان الهدف الأول من برنامج الصفقة الجديدة من خلال عدة تشريعات أصدرها روزفلت تنظيم الاقتصاد واستقراره في المقام الأول، ثم تقديم المساعدات للطبقات الدنيا حتى تحول دون تطور تمردهم إلى ثورة حقيقية.

كان هذا التمرد حقيقيًّا عندما دخل روزفلت البيت الأبيض، لم ينتظر اليائسون مساعدة الحكومة، فقد كانوا يساعدون أنفسهم بطريقة مباشرة. انتظر الناس في جميع أنحاء البلاد حتى يمنعوا عمليات الإخلاء. عندما كان يأتي خبر بأن شخصًا ما سوف يتعرض للإخلاء، كان الناس يهرعون إلى هناك، وبعد أن تخرج الشرطة أثاث المنزل إلى الشارع، كان المتجمهرون يعيدونه للداخل. وكان اتحاد الصيادين في سياتل يتبادل الأسماك مع بائعي الفاكهة والخضروات والحطابين. كانت هذه أفعال بسيطة جاءت نتيجة الاحتياج الشديد. لكنها كانت تحمل في طياتها احتمالات ثورية.

هل كان لدى دعاة الصفقة الجديدة وعي طبقي؟ هل تفهموا ضرورة الإسراع باتخاذ الإجراءات في عام 1933 و1934 لتوفير الوظائف والغذاء والإغاثة والقضاء على فكرة "أن العمال هم الوحيدون القادرون على حل مشكلاتهم"؟ ربما جاءت أفعالهم كما حدث مع العمال، بدافع من الضرورة والاحتياج إلى الفعل أكثر منها بدافع من نظرية ما يؤمنون بها.

ومن أجل العمل على استقرار النظام في مواجهة الإضرابات العمالية، تم تمرير قانون واجنر عام 1935 والذي أقيم بمقتضاه المجلس الوطني للعلاقات العمالية. ورغم

أن أصحاب العمل كانوا لا يرغبون في الاتحادات، فإنهم رأوا أنه يمكن السيطرة عليها وأنها تعمل على استقرار النظام أكثر من اعتصام العمال.

مع وقوع الحرب العالمية الثانية، ضعفت الروح العنيفة التي سادت في الثلاثينيات؛ لأن اقتصاد الحرب خلق الملايين من فرص العمل، كما أنه خلق الروح الوطنية، وتعهد كل من اتحاد العمل الأمريكي ومجلس المنظمات الصناعية بعدم الدعوة للإضرابات، من أجل توحيد الطبقات في وجه الأعداء فيما وراء البحار. ومع ذلك ظل العمال يشكون من قلة الأجور ووقعت عدة إضرابات عنيفة في عام **1944**.

أظهرت الثلاثينيات والأربعينيات مدى أزمة العمال في الولايات المتحدة أكثر من ذي قبل. ولقد رد النظام على حركات التمرد العمالية عن طريق إيجاد وسائل جديدة للسيطرة، على سبيل المثال السيطرة الداخلية عن طريق المنظمات العمالية ذاتها، أو عن طريق السيطرة الخارجية عن طريق استخدام القوة أو القانون. لكن مع مجيء وسائل السيطرة الجديدة كانت هناك -أيضًا- بعض الامتيازات الجديدة التي لم تستطع إيجاد حلول للمشكلات الرئيسية، فهي لم تساعد العديد من الناس، لكنها ساعدت عددًا كافيًا من الناس بحيث تخلق جوًّا من التقدم والتحسن واستعادة الثقة في النظام.

شجع برنامج الصفقة الجديدة السود من الناحية النفسية، وحصل بعضهم على وظائف في الإدارة الأمريكية. ومع ذلك تجاهلت برامج الصفقة الجديدة معظم السود.

بدأ الكثير من الأمريكيين في تغيير أسلوب تفكيرهم خلال سنوات التمرد والأزمة. وفي أوروبا بدأ هتلر في الظهور. وفي المحيط الهادي كانت اليابان تغزو الصين. وكانت الإمبراطوريات الغربية تتعرض لتهديد إمبراطوريات جديدة، ولم تكن الولايات المتحدة بعيدة عن الحرب.

الفصل السادس عشر

الحرب العالمية الثانية: هل كانت حربًا شعبية؟

كان كل الأمريكيين تقريبًا يتفقون -سواء كانوا رأسماليين أو شيوعيين أو ديمقراطيين أو جمهوريين أو فقراء أو أثرياء، أو من الطبقة الوسطى- على أن الحرب العالمية الثانية كانت حربًا شعبية.

والسؤال: هل كانت كذلك حقًّا؟ كانت هذه الحرب التي شارك فيها ملايين الأمريكيين ضد عدو ذي شر كبير، كانت ألمانيا هتلر تمثل الشمولية والعنصرية والعسكرية وتبدي استعدادًا لشن حروب عدوانية على نحو غير مسبوق. ولكن هل كانت حكومات إنجلترا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تمثل شيئًا مختلفًا بحيث يكون انتصارهم ضربة للإمبريالية والعنصرية والشمولية والعسكرية في العالم؟ هل سيكون سلوك الولايات المتحدة في حربها في الخارج وفي معاملتها للأقليات الأمريكية في الداخل، متوائمًا مع شن حرب شعبية؟ وهل ستحترم سياسة الولايات المتحدة في وقت الحرب حقوق الناس العاديين -في كل مكان في العالم- في الحياة والحرية والبحث عن السعادة؟ وهل ستمثل أمريكا ما بعد الحرب القيم التي من المفترض أن الحرب قامت من أجل الدفاع عنها؟

مثل هذه الأسئلة تستحق التأمل والتفكير. ولكن الجو العام الذي كان يمتلئ حماسًا للحرب لم يكن يسمح بطرح أسئلة كهذه.

إن نهوض الولايات المتحدة بوصفها مدافعة عن البلاد الضعيفة يوافق صورتها كما تروج لها الكتب المدرسية، ولكنه لا يتوافق مع سجلها من التدخل في شؤون العالم الثالث. فقد عارضت الثورة في هاييتي، وأثارت حربًا مع المكسيك وضمت نصف أراضيها، وتظاهرت بمساعدة كوبا ثم زرعت نفسها هناك، وشنت حربًا وحشية لإخضاع

الفلبينيين، وفتحت اليابان لتجارتها عن طريق التهديد، وأعلنت سياسة الباب المفتوح للتأكد من أنها ستكون لها فرص متساوية مع فرص الإمبراطوريات الأخرى.

باختصار لو كان دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية (كما اعتقد كثير من الأمريكيين في ذلك الوقت عندما رأوا عمليات الاحتلال النازي) من أجل مبدأ عدم التدخل في شؤون البلدان الأخرى، فإن سجلها الحافل بالتدخلات يلقي ظلالاً من الشك حول قدرتها على الحفاظ على هذا المبدأ.

والشيء الذي كان واضحًا في وقت الحرب هو أن الولايات المتحدة كانت ديمقراطية تتمتع بحريات معينة بينما كانت ألمانيا ديكتاتورية تضطهد أقليتها من اليهود وتسجن معارضيها وتزعم تفوق العنصر الجرماني. على أن السود إذا نظروا إلى معاداة السامية في ألمانيا ربما لا يجدون أن موقفهم داخل الولايات المتحدة يختلف كثيرًا عن موقف اليهود في ألمانيا. والولايات المتحدة لم تقم سوى بالقليل فيما يتعلق بسياسات هتلر الاضطهادية. بل إنها انضمت إلى إنجلترا وفرنسا في استرضاء هتلر في الثلاثينيات. وكان روزفلت ووزير خارجيته مترددين في إدانة سياسة هتلر العنصرية. وحين قُدم قرار إلى مجلس الشيوخ عام **1934** يطالبه والرئيس بالتعبير عن الاندهاش والألم لما يفعله الألمان باليهود، قامت وزارة الخارجية بدفن هذا القرار بقرارها تشكيل لجنة للنظر فيه.

وعندما غزت إيطاليا إثيوبيا **1935** أعلنت الولايات المتحدة حظرًا على تصدير الأسلحة إلى إيطاليا، لكنها سمحت للشركات الأمريكية بتصدير البترول بكميات كبيرة، وهو الشيء الضروري لاستمرار إيطاليا في الحرب. وعندما قام انقلاب فاشيستي في إسبانيا **1936** ضد الحكومة الاشتراكية المنتخبة، التزمت إدارة روزفلت الحياد وهو ما حال دون مساعدة الحكومة الإسبانية، بينما قدم هتلر وموسوليني عونًا كبيرًا لفرانكو (قائد الانقلاب في إسبانيا).

لكن عندما بدأت اليابان وألمانيا في تهديد المصالح الأمريكية في العالم، صار من المفضل انتهاج سياسة مؤيدة للاتحاد السوفيتي ومناهضة للفاشية. إن الذي دفع الولايات المتحدة لدخول الحرب على نحو كامل كان هجوم اليابانيين على أحد أطراف الإمبراطورية الأمريكية من ناحية المحيط الهادي ومهاجمة القاعدة البحرية الأمريكية في بيرل هاربر عام **1941**.

قدمت حكومة الولايات المتحدة ما حدث في بيرل هاربر إلى الرأي العام الأمريكي على أنه شيء جاء مفاجئًا وصادمًا وغير أخلاقي. من ناحية أنه غير أخلاقي فهذا صحيح، لكنه لم يكن مفاجئًا ولا صادمًا للولايات المتحدة. إن الضربة اليابانية للبحرية الأمريكية جاءت كذروة لسلسلة من الأفعال العدائية المتبادلة. فعن طريق فرضها عقوبات اقتصادية على اليابان، كانت حكومة واشنطن تدرك جيدًا أن ذلك يدفع باتجاه الحرب.

وإذ نحينا جانبًا الاتهامات العنيفة الموجهة لروزفلت (التي قالت: إنه كان يعلم بما قد يحدث في بيرل هاربر لكنه لم يتكلم، ولكن ليس هناك أدلة دامغة على هذه الاتهامات) فإنه يبدو واضحًا أن روزفلت فعل ما فعله قبله الرئيس جيمس بوك في الحرب المكسيكية، وما فعله ليندون جونسون في حرب فيتنام، فقد كذب روزفلت على الرأي العام فيما ظن أنه قضية عادلة.

بعد هجوم بيرل هاربر، أعلنت كل من ألمانيا وإيطاليا الحرب على الولايات المتحدة. والسؤال: هل أظهر سلوك الولايات المتحدة أن أهدافها في الحرب كانت إنسانية أم أنها تركزت على القوة والمصلحة؟ هل كانت تحارب كي تنهي سيطرة بعض الدول على الآخر أم لتتأكد أن الدول المسيطرة صديقة لها؟

في أغسطس **1941** التقى روزفلت وتشرشل وأعلنا الميثاق الأطلنطي الذي أرسى أهدافًا نبيلة لعالم ما بعد الحرب. وقال الزعيمان: إن بلديهما لا تنشدان توسعًا، وإنهما

يحترمان كل الشعوب في اختيار شكل الحكومة التي يعيشون في ظلها. ونال الميثاق احتفاء كبيرًا بإعلانه حق الشعوب في تقرير مصيرها.

قبل إصدار الميثاق بأسبوعين كانت الولايات المتحدة تؤكد لفرنسا أن الإمبراطورية الفرنسية لن يصيبها أذى بعد انتهاء الحرب. وفي عام **1945** لم تعد السياسة الأمريكية نحو الهند الصينية غامضة، وأكد الرئيس ترومان أن السيادة الفرنسية في الهند الصينية ليست محل تساؤل. كما شجعت الولايات المتحدة الصين التي كانت مسؤولة عن الجزء الشمالي من الهند الصينية بتسليم ذلك الجزء للفرنسيين، على الرغم من الرغبة الواضحة للفيتناميين في الاستقلال.

كان هذا جميلاً قدمته الولايات المتحدة لفرنسا، ولكن ماذا عن الطموحات الإمبراطورية للولايات المتحدة أثناء الحرب؟ وماذا عن التوسع الذي أعلن الميثاق الأطلنطي التخلي عنه؟

في هدوء وبعيدًا عن أخبار المعارك، كان الدبلوماسيون ورجال الأعمال الأمريكيون يبذلون أقصى جهد لديهم للتأكد من أن القوة الاقتصادية الأولى في العالم ستكون للولايات المتحدة دون منازع. كان معنى ذلك أن تخترق الولايات المتحدة مناطق نفوذ كانت حتى ذلك الوقت -وقت الحرب- تحت النفوذ البريطاني. امتد النفوذ الأمريكي من آسيا إلى أوروبا وعكس ذلك نية الولايات المتحدة في تنحية إنجلترا جانبًا والمضي قدمًا بمفردها.

هذا ما حدث -أيضًا- في منطقة الشرق الأوسط وبترولها، وفي أغسطس **1945** قال مسؤول بوزارة الخارجية: إن استعراضًا سريعًا للتاريخ الدبلوماسي على مدار الخمسة والثلاثين عامًا الماضية يبين أن البترول لعب دورًا تاريخيًّا في العلاقات الخارجية أكبر من أي سلعة أخرى. كانت السعودية تمثل أكبر حوض بترولي في الشرق الأوسط. استطاعت شركة أرامكو للبترول من خلال وزير الداخلية هارولد إيكيس، أن تجعل

الرئيس روزفلت يوافق على تقديم معونة للسعودية ما يعني وجودًا حكوميًّا أمريكيًّا هناك، وهذا من شأنه أن يكون درعًا لمصالح أرامكو. كانت سياسة الباب المفتوح ناجحة في منطقة الشرق الأوسط كلها.

في دراسته عن البترول في العالم تحت عنوان "الأخوات السبعة" يقول أنطوني سامبسون: بنهاية الحرب كان النفوذ المسيطر في السعودية للولايات المتحدة دون جدال، ولم يعد الملك ابن سعود محارب الصحراء الشرس، بل أصبح مفتاحًا في لعبة القوة يطلب الغرب وده.

ثم كتب روزفلت رسالة إلى ابن سعود وعده فيها ألا تغير الولايات المتحدة سياستها بشأن فلسطين دون الرجوع إلى العرب. في السنوات التالية سينافس البترول اهتمام الولايات المتحدة السياسي بالدولة العبرية في الشرق الأوسط، وعند هذه النقطة كان البترول هو الأكثر أهمية.

ومع انهيار قوة الإمبراطورية البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية، كانت الولايات المتحدة مستعدة للتحرك. وقبل أن تنتهي الحرب، كانت الإدارة الأمريكية تضع الخطوط الرئيسية لنظام اقتصادي عالمي جديد يقوم على شراكة بين الحكومة والشركات الكبرى.

في أثناء الحرب أنشأت كل من إنجلترا والولايات المتحدة "صندوق النقد الدولي" لتنظيم تبادل العملات الدولية، ولما كان للولايات المتحدة النسبة الأكبر في رأس المال، فقد تأكدت الهيمنة الأمريكية، وكذلك تم إنشاء البنك الدولي، وكان من المفترض من إنشائه مساعدة المناطق التي هدمتها الحرب في إعادة الإعمار، ولكن كان أحد أهدافه الرئيسية تنشيط الاستثمار الأجنبي. كان للولايات المتحدة إطار سياسي تنظر من خلاله للدول التي في حاجة إلى إعانات اقتصادية، وقال أفيريل هاريمان سفير الولايات المتحدة في روسيا: "إن المعونة الاقتصادية واحدة من أكثر الأسلحة فاعلية

وهو طوع بناننا للسيطرة على الأحداث السياسية الأوروبية وتوجيهها في الاتجاه الذي نريده".

تم تقديم إنشاء هيئة الأمم المتحدة أثناء الحرب للعالم بوصفها تعاونًا دوليًّا لمنع قيام حروب في المستقبل، ولكن سيطر على الهيئة الوليدة أربع قوى منها ثلاثة غربية (الولايات المتحدة، وإنجلترا، وفرنسا) بالإضافة إلى الاتحاد السوفيتي وهو القوة الجديدة التي كانت تتمتع بنفوذ ضخم في أوروبا الشرقية.

كان جيش الولايات المتحدة في تلك الحرب يقوم على الفصل العنصري. فعندما أبحرت السفن نحو أوروبا تم وضع السود في قاع السفن بجوار المحركات، على نحو يذكر برحلات العبيد، بل إن هيئة الصليب الأحمر، بموافقة الحكومة الأمريكية كانت تقوم بفصل الدم المتبرع به من السود والبيض. كان السود لا يزالون يتعرضون للتمييز العنصري في الوظائف وقال المتحدث باسم شرطة طيران: "لن نوظف الزنوج إلا في أعمال النظافة أو ما شابهها، لن نوظفهم كعمال طيران، بغض النظر عن تدريبهم وكفاءتهم". بل إن الرئيس روزفلت لم يفعل شيئًا من أجل تطبيق توصيات لجنة التوظيف العادل التي أنشأها.

في إحدى سياساتها، كانت الولايات المتحدة أقرب إلى تقليد الفاشية، ومثال ذلك تعاملها مع الأمريكيين اليابانيين في منطقة الساحل الغربي، فبعد هجوم بيرل هاربر انتشرت هيستريا معادية لليابانيين في كل أرجاء البلاد، وقال أحد أعضاء مجلس النواب: إنني مع القبض على كل ياباني في أمريكا، لعنة الله عليهم، دعونا نتخلص منهم.

لم يشترك الرئيس روزفلت في هذه الهستيريا، لكنه في هدوء ودون صخب وقع الأمر التنفيذي رقم **9066** عام **1942** وهو الأمر الذي منح الجيش الأمريكي السلطة في القبض على كل ياباني -أمريكي في الساحل الغربي دون اتهامات أو محاكمات

ونقلهم إلى معسكرات اعتقال يعيشون فيها عيشة السجناء. بلغ عدد من قبض عليهم **110** ألفًا من الرجال والنساء والأطفال. كان ثلاثة أرباع هؤلاء أطفالاً ولدوا في الولايات المتحدة من آباء أو أمهات يابانيين، ومن ثم فهم مواطنون أمريكيون. أما الربع الأخير ويمثل الذين ولدوا في اليابان فقد صدر قرار بمنعهم من الحصول على الجنسية الأمريكية. وفي عام **1944** أيدت المحكمة الدستورية العليا عمليات اعتقال اليابانيين الأمريكيين على أساس أنه ضرورة عسكرية، وظل اليابانيون الأمريكيون في معسكرات الاعتقال لمدة ثلاثة أعوام.

لم يعرف الرأي العام الأمريكي ما حدث لليابانيين إلا بعد إعلان انتهاء الحرب. ففي سبتمبر **1945** ظهر مقال لأستاذ قانون بجامعة ييل يتناول فيه ما حدث مع اليابانيين مطلقًا عليه: "أسوأ أخطائنا أثناء الحرب". والسؤال الآن: هل كان ذلك خطأ؟ أم أنه كان عملاً متوقعًا من أمة لها تاريخ طويل من العنصرية وكانت تحارب في الحرب العالمية الثانية ليس من أجل إنهاء العنصرية ولكن من أجل الحفاظ على العناصر الأساسية للنظام الأمريكي؟

كانت الحرب العالمية الثانية حربًا شنتها الحكومة من أجل مصالح نخبة ثرية حيث عاد التحالف بين الحكومة والنخبة الثرية إلى الاقتراحات الأولى نفسها التي قدمها ألكسندر هاملتون للكونجرس بعد حرب الثورة الأمريكية، وبحلول الحرب العالمية الثانية تطورت الشراكة بين الحكومة والنخبة الثرية وازدادت قوة. كان الرئيس روزفلت، أثناء الأزمة الاقتصادية قد أدان من أسماهم "الملكيين الاقتصاديين" لكنه كان دائمًا ما يلقى دعمًا من أصحاب الشركات الكبرى.

وعلى الرغم من الجو المفعم بالإحساس بالوطنية، وعلى الرغم من تعهدات النقابات والاتحادات بعدم القيام بأي إضرابات، فقد أضرب عمال كثيرون نتيجة إحباطهم من تجميد أجورهم، على الرغم من ارتفاع أرباح الشركات حينها. وشهدت

فترة الحرب **14** إضرابًا اشترك فيهم حوالي سبعة ملايين من العمال، وهو ما لم يحدث من قبل في تاريخ البلاد. واستمرت تلك الإضرابات في فترة ما بعد الحرب، وبمشاركة واسعة من العمال.

خلال الحرب تم شن قصف عنيف على ألمانيا واليابان -ما قامت به ألمانيا من عمليات قصف على عدد من المدن يعتبر صغير مقارنة بعمليات القصف الأمريكي والإنجليزي- سقط فيها مئات الآلاف من الضحايا في دريسدن بألمانيا وهيروشيما وناجازاكي باليابان. كان تبرير هذه الفظاعات هو أنها ستنهي الحرب بسرعة بما لا يضطر الحكومة الأمريكية إلى غزو اليابان لأن غزو اليابان سيكلف الولايات المتحدة حياة مليون أمريكي حسب تقدير وزير الخارجية الأمريكي حينها. إن تقديرات تكلفة الغزو لم تكن واقعية وتمت المبالغة فيها بهدف تبرير ذلك القصف المرعب واللجوء إلى السلاح النووي. فبحلول أغسطس عام **1945** كانت اليابان في حالة شديدة السوء وكانت على استعداد للاستسلام. وكان الأمريكيون يدركون ذلك من خلال فك أسرار الشفرة اليابانية والتنصت على الرسائل اليابانية.

بعد الحرب استأنف المنتصران الكبيران الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (وأيضًا إنجلترا وفرنسا والصين ولكن هؤلاء كانوا ضعفاء) العمل ولكن تحت غطاء الاشتراكية من ناحية والديمقراطية من ناحية أخرى في سبيل بناء إمبراطوريتهما. وانطلق الاثنان في المشاركة والتنافس على الهيمنة على العالم وبدءا في بناء آلات عسكرية أكبر كثيرًا من تلك التي بنتها الدول الفاشية. ثم راحا يتحكمان في مصائر دول أكثر مما استطاع الألمان والإيطاليون واليابانيون. ومن أجل تأمين حكمهما، فقد بدءا -أيضًا- في إحكام السيطرة على مواطنيهما، كل بطريقته. كانت الدعاية في الاتحاد السوفيتي زاعقة بينما كانت أكثر ذكاء وعمقًا في الولايات المتحدة.

خلقت الحرب ظروفًا فعالة سمحت للولايات المتحدة بإحكام سيطرتها على

المواطنين، وغطى الحديث عن المجهود الحربي على المشاكل الاقتصادية والبطالة. وتعلمت الحكومة الأمريكية درسًا قديمًا مفاده أن الحرب تحل لها مشكلة السيطرة على الجماهير. كان تشارلز ويلسون رئيس شركة جنرال إليكتريك، سعيدًا بالموقف أثناء وبعد الحرب، حتى إنه اقترح استمرار التحالف بين أصحاب الشركات الكبرى والمؤسسة العسكرية فيما يمكن أن يسمى "اقتصاد الحرب الدائمة". وهذا ما حدث عندما بدأ الرأي العام الأمريكي بعد الحرب يفضل التهدئة ووقف التسلح. فقد عملت إدارة ترومان على خلق جو من الأزمة والحرب الباردة. صحيح أن التنافس مع الاتحاد السوفيتي كان حقيقيًّا، لكن إدارة ترومان لم تقدم الاتحاد السوفيني للرأي العام كمنافس، بل كتهديد مباشر. خلقت إدارة ترومان مناخًا من الخوف والهيستيرية عن الشيوعية كي تبرر رفع الميزانية العسكرية، كان من شأن هذه السياسة أن تؤدي إلى ارتكاب أعمال عدوانية في الخارج وأعمال قمعية في داخل البلاد.

في الحرب اليونانية الأهلية أرسلت الولايات المتحدة مستشارين عسكريين لمساعدة الحكومة اليمينية ضد المتمردين، كما أرسلت ما وزنه **47** ألف طن من المساعدات العسكرية، وتم هزيمة التمرد واستمرت المساعدات الأمريكية بعد ذلك، وفي حرب الكوريتين ساندت كوريا الجنوبية ضد كوريا الشمالية المدعومة من الاتحاد السوفيتي. حشدت الحرب الكورية الرأي الليبرالي خلف الرئيس والحرب. لقد أحدثت الحرب تحالفًا كانت الإدارة الأمريكية في حاجة إليه لدعم سياسة التدخل في الخارج وسياسة عسكرة الاقتصاد في الداخل. وتسبب ذلك في مشكلة لمن ظلوا خارج نطاق التحالف من منتقدي الحرب الراديكاليين. وبدأت الإدارة الأمريكية بإضعاف وعزل قوى اليسار.

بعد أسبوعين من تقديم مذهب ترومان الخاص بمساعدة اليونان وتركيا إلى الأمريكيين، أصدر الرئيس ترومان في **22** مارس **1947** برنامجًا يقضي بالبحث عن أي تسرب للأشخاص الخونة إلى داخل الحكومة الأمريكية.

لعبت الأحداث العالمية في فترة ما بعد الحرب دورًا مؤثرًا في بناء تأييد كبير لحملة مناهضة للشيوعية. لم يقتصر التهديد لحكومة الولايات المتحدة ومصالحها على اتساع النفوذ السوفيتي. إن الذي حدث في الصين وكوريا والهند الصينية والفلبين قامت به حركات شيوعية محلية ودون تحريض من الاتحاد السوفيتي. كان ما حدث موجة عامة لمناهضة الإمبريالية وهي الموجة التي ستحتاج إلى جهود أمريكية جبارة لإلحاق الهزيمة بها. تمثلت الجهود الجبارة في الوحدة الوطنية من أجل عسكرة ميزانية البلاد وقمع المعارضة الداخلية لمثل هذه السياسة الخارجية، وتحرك ترومان والليبراليون في الكونجرس من أجل خلق الوحدة الوطنية التي أشرنا إليها، وتمثل ذلك في الأمر التنفيذي الخاص بالتشريع لمناهضة الشيوعية وقسم الولاء وإقامة الدعاوي من قبل وزارة العدل ضد الموالين للشيوعية.

في هذا الجو، استطاع السيناتور جوزيف مكارثي أن يذهب إلى أبعد مما ذهب إليه ترومان. فقد ألقى مكارثي اتهاماته على العديد من الشخصيات بتهمة الشيوعية، وذكر أكاذيب ومبالغات ضد العديد من الأشخاص، وتمت عمليات تحقيق واسعة شملت حتى عسكريين.

إن محاولة إخافة الرأي العام من الشيوعية وجعله يؤيد أي إجراءات صارمة تتخذ ضد الشيوعيين قد نجحت إلى حد كبير، لقد هيمنت النزعة المعادية للشيوعية على الثقافة الأمريكية كلها. انتشرت الأفلام السينمائية والروايات والمقالات، وتعلم الصغار والكبار أن معاداة الشيوعية عمل بطولي.

كان هذا مناخًا استطاعت فيه الحكومة أن تحصل على تأييد جماهيري لانتهاج سياسة إعادة التسليح. لقد تعلم النظام الذي تعرض لهزة كبيرة في الثلاثينيات، أن الإنتاج الحربي يمكن أن يحقق الاستقرار ويجلب الأرباح.

في كتابه نخبة السلطة الذي صدر في الخمسينيات، اعتبر رايت ميلز، المؤسسة

العسكرية جزءًا من النخبة التي تحكم، أي: وضعها مع الساسة وأصحاب الشركات الكبرى -الشركات الكبرى التي تقوم بالعمل في مجال الإنتاج العسكري وكانت تحقق ثروات خيالية. وقد كشف تقرير صادر عن مجلس الشيوخ أن المائة شركة الأكبر في مجال التعاقدات العسكرية قامت بتوظيف أكثر من ألفين من الضباط الكبار المتقاعدين.

في الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة وهي تقدم مساعدات اقتصادية لبلد بعينها، تنسج شبكة من السيطرة على العالم وتؤكد نفوذها السياسي على تلك البلاد. وكانت خطة مارشال التي قدمت **16** مليار دولار إلى أوروبا الغربية كان هدفها الاقتصادي بناء أسواق للصادرات الأوروبية. وكان ثمة دافع سياسي -أيضًا- وراء خطة مارشال، فقد كانت الأحزاب الشيوعية في إيطاليا وفرنسا قوية، وقررت الولايات المتحدة أن تستخدم الضغوط والأموال للحيلولة دون تغلغل الشيوعيين داخل حكومات هذه البلاد.

كما تدخلت الولايات المتحدة عسكريًّا للإطاحة بالعديد من الحكومات، ففي إيران **1953** تدخلت للإطاحة بالحكومة الإيرانية التي أممت صناعة البترول. كما قامت قوات مرتزقة تدربت على أيدي المخابرات الأمريكية بغزو جواتيمالا للإطاحة بحكومة -اشتراكية- شرعية منتخبة، وقامت أربع مقاتلات أمريكية بتقديم الدعم اللازم للمرتزقة. وتم إرسال آلاف الجنود إلى لبنان من أجل حماية الحكومة اللبنانية الموالية للولايات المتحدة ضد أي ثورة، ولكي يكون هناك وجود عسكري أمريكي في مناطق البترول.

كما تدخلت الولايات المتحدة في كوبا للإطاحة بكاسترو من خلال تدريب المتمردين الكوبيين ودعمهم في عملية خليج الخنازير، والتي منيت بالفشل.

الفصل السابع عشر

الأحلام المؤجلة

جاءت ثورة الأمريكيين السود في الخمسينيات والستينيات في الشمال والجنوب مفاجأة. لكن ربما لم يكن أن تكون كذلك. إذن ذاكرة المظلومين شيء لا يمكن انتزاعه، فلقد كانت الثورة بالنسبة لهؤلاء المظلومين الذين يحصلون هذه الذاكرة، دائمًا قريبة. فلم ينس السود ذكريات الرق والحرق والإذلال، ولم يكن كل هذا مجرد ذكريات، بل كان واقعًا معاشًا وجزءًا من حياتهم اليومية جيلاً بعد جيل.

وفي مجتمع يخضع لسيطرة معقدة ومركبة بإمكان المرء أن يجد الأفكار السرية متخفية في الفنون. كذلك كان الحال في مجتمع السود. ربما أخفت أغاني الزنوج مهما كانت شجية وتبعث على الحزن، الغضب. وربما كانت موسيقى الجاز مهما كانت مبهجة، تنذر بالتمرد والثورة. ثم يأتي الشعر حيث لم تعد الأفكار سرية. وجاءت القصائد داعية إلى المقاومة وعدم الخنوع. كما عبرت الروايات التي كتبها السود عن معاناتهم والإذلال الذي يتعرضون له.

كان معروفًا عن الحزب الشيوعي اهتمامه الخاص بمشكلة المساواة العرقية. ولم يكن الزنجي معاديًا للشيوعية مثل البيض. فلم يكن يملك هذه الرفاهية. ومن هنا لاقت الأفكار السياسية لهؤلاء المناضلين، مهما تم تحويرها من قبل المؤسسة، إعجابًا شديدًا من المجتمع الأسود.

في أثناء الحرب العالمية الثانية، هدأ المزاج الأسود المسلح عندما قامت الأمة بإدانة العنصرية، وأبقت من ناحية أخرى، على الفصل بين البيض والسود في القوات المسلحة، وميزت بين الطرفين في الرواتب ونوعية الوظائف. وعندما انتهت الحرب دخل عنصر جديد في الميزان العرقي للولايات المتحدة، ونقصد بذلك الثورات وحركات

التمرد غير المسبوقة للشعوب السوداء والصفراء في كل من آسيا وإفريقيا.

كان على الرئيس ترومان أن يحسب حساب ذلك، وكانت هناك حاجة لاتخاذ بعض الإجراءات بخصوص المسألة العرقية، ليس من أجل تهدئة السود فحسب، ولكن -أيضًا- من أجل تقديم الولايات المتحدة في صورة أنها تستطيع مواجهة المد الشيوعي المستمر.

في أواخر **1946** عين ترومان لجنة للحقوق المدنية، أوصت بتوسيع القسم الخاص بالحقوق المدنية في وزارة العدل، وأن يقوم الكونجرس بإصدار قوانين توقف عمليات حرق السود، والتمييز في عملية التصويت. لم يتحرك الكونجرس لإجراء التشريعات التي أوصت بها اللجنة. لكن ترومان عام **1948** أصدر أمرًا تنفيذيًّا يطالب القوات المسلحة بتطبيق المساواة العرقية على نحو أسرع. واستغرق تطبيق هذا القرار عقدًا كاملاً أو يزيد.

كان الفصل العنصري والتمييز بين البيض والسود موجودًا في المدارس ووسائل المواصلات. وفي بداية الستينيات قام السود بحركات تمرد شملت الجنوب كله، وفي أواخر الستينيات كانوا طرفًا في مظاهرات غاضبة في مائة مدينة بالشمال. وقاطع السود في مدينة مونتجمري وسائل المواصلات وبدأوا في الذهاب إلى أعمالهم سيرًا على الأقدام، تم القبض على العديد منهم، وحدثت عمليات اعتداء وتفجير قنابل في كنائس للسود.

وفي عام **1956** حرمت المحكمة الدستورية العليا الفصل بين البيض والسود في وسائل المواصلات.

كانت مونتجمري هي البداية. لقد أرست الأسلوب والمزاج الذين ستتخذهما حركة الغضب والاحتجاج التي ستكتسح الجنوب الأمريكي في السنوات العشر القادمة، وذلك

بالاجتماعات الروحية في الكنيسة، والترانيم المسيحية، والإشارات إلى القيم الأمريكية الضائعة، والالتزام بالمقاومة السلمية، والرغبة في الكفاح والتضحية. وفي تلك الاجتماعات ظهر مارتن لوثر كينج كخطيب مفوه ملهم للملايين من المطالبين بالمساواة العرقية.

كان تركيز مارتن لوثر كينج على المحبة واللاعنف ذا تأثير كبير في بناء تعاطف في كل أنحاء البلاد بين السود والبيض على السواء. ولكن هناك قطاع آخر من السود كانوا يرون دعوة كينج ساذجة، وأنه إن كان هناك من البيض من يمكن كسبهم بالمحبة، فإن هناك –أيضًا– من يجب محاربتهم بالسلاح إذا لزم الأمر. وقد قام بعض السود بذلك حين هاجم عدد من العنصريين منزل أحد قادة الرابطة الوطنية لتحسين أحوال الملونين (PCAAN) فرد عليهم بعض السود بالبنادق ما أجبر العنصريين على مغادرة المكان. غير أن السود في السنوات التالية كانوا يؤكدون على المحبة واللاعنف في الجنوب.

تم تنظيم عدد من الرحلات إلى الجنوب اشترك فيها البيض والسود، لكسر نمط الفصل بين السود والبيض في وسائل المواصلات، لكن تم الاعتداء على تلك الرحلات (رحلات الحرية) وتحطيم الأتوبيسات بدون أي تدخل من الشرطة. تم تأسيس لجنة التنسيق الطلابية السلمية (CCNS) والتي قامت بتنظيم عدد من رحلات الحرية، واتصل منظموها بوزارة العدل طالبين حمايتها، لكن الوزارة ردت بأنها لا تستطيع حماية أحد، لكن إذا وقع شيء ما ستقوم بالتحقيق.

زادت رحلات الحرية، وزادت مظاهرات السود، وفي كل أنحاء الجنوب كان شباب تنظيم (CCNS) يتحركون مع عدد من البيض المتطوعين، لتنظيم الناس من أجل قيد أسمائهم في سجلات الانتخابات، من أجل الاحتجاج ضد العنصرية وتشجيع الناس على مواجهة العنف وعدم الاستسلام أمامه. وفي ثلاثة شهور من عام **1963** سجلت

وزارة العدل **1412** مظاهرة. وأصبح الزج بالسود في السجون وضربهم شائعًا ومعتادًا، وقد جعل هذا بعض السود يخافون، بينما تقدم آخرون إلى الإمام دون خوف.

بدأ الكونجرس في التفاعل مع ثورة السود وحالة الهياج التي سادت البلاد، وأصدر عدة قوانين خاصة بالحقوق المدنية، لكن تلك القوانين لم تطبق على نحو صارم أو تم تجاهلها. وفي عام **1965** رعى الرئيس جونسون قانونًا أقوى للحقوق الانتخابية يوفر حماية فيدرالية لعمليات تسجيل أسماء المنتخبين وقيامهم بالتصويت. وكان تأثير ذلك كبيرًا في تسجيل السود في الجنوب أسماءهم في قوائم الانتخابات.

كانت الحكومة الفيدرالية تحاول، دون إجراء تغييرات جذرية، أن تسيطر على موقف متفجر، وأن تحول مجرى الغضب إلى آلية تقليدية هادئة هي صندوق الانتخاب. عندما خطط قادة الحقوق المدنية للسود لمسيرة كبيرة إلى واشنطن عام **1963** للاحتجاج على فشل الأمة في التصدي لحل المسألة العرقية، سرعان ما نهض الرئيس كينيدي وقادة آخرون لاحتواء المسيرة وحولوها إلى لقاء ودي. هز خطاب مارتن لوثر كينج بعنوان "لدي حلم" مائتي ألف أمريكي من السود والبيض. كانت خطبة عظيمة، لكنها لم تكن تحمل الغضب الذي كان يشعر به كثير من السود. وعندما حاول أحد الشباب أن يقدم كلامًا غاضبًا في المؤتمر، اعترض عليه قادة المسيرة وحذفوا بعض العبارات من خطبته، وهي العبارات المحرضة على الفعل المسلح وانتقاد الحكومة.

لكن بعد **18** يومًا من المسيرة وقع شيء بدا وكأنه يسخر من اعتدال المسيرة، فقد انفجرت قنبلة في بدروم كنيسة تابعة للسود ما تسبب في وفاة أربع فتيات. كان الراديكالي مالكوم إكس أقرب إلى مزاج المجتمع الأسود. وفي كلماته قال مالكوم: إن مسيرة الزنوج الغاضبة كانت ثورة أقلقت القادة البيض، لكن القادة السود القوميين أنهوا المسيرة بطلب من كينيدي، حين انضموا إليها وتولوا قيادتها، ما أفقد المسيرة راديكاليتها، حينها لم تعد غاضبة ولا ساخنة، ونحت إلى التوفيق والتسوية.

كان ما حدث خيانة وحادث سطو. سيطر أصحاب المؤسسة على المسيرة حتى إنهم حددوا للزنوج متى يهتفون، ومتى يتوقفون، وأية لافتات يحملون، وأية أغنية يغنون، وأية خطبة لا يستطيعون إلقاءها، ثم طالبوهم بمغادرة المكان.

تحرك كينيدي لكي يدخل الزنوج في التحالف الديمقراطي، لكن هذا لم يجد شيئًا. فالسود لم يستطيعوا دخول التحالف الديمقراطي بسهولة، ولا سيما مع استمرار انفجار القنابل في كنائسهم، علاوة على أن قوانين الحقوق المدنية لم تغير من أحوالهم الأساسية.

استمرت المظاهرات والاحتجاجات من قبل السود. ورغم الاحترام الذي كان لا يزال يتمتع به مارتن لوثر كينج، فقد حل أبطال آخرون محله (راديكاليون) من أمثال هيوي نيوتن من تنظيم الفهود السوداء، الذين كانوا يحملون السلاح، وكانوا يؤمنون بأن على السود أن يدافعوا عن أنفسهم.

أصبح مارتن لوثر نفسه أكثر قلقًا على المشاكل التي لم يعالجها قانون الحقوق المدنية، وهي المشاكل التي يسببها الفقر، وفي **1968** بدأ يتكلم صراحة ضد نصيحة بعض القادة الزنوج الذين خشوا من خسارة بعض الأصدقاء في واشنطن، وكذلك بدأ يتحدث عن الحرب في فيتنام، وكانت أحاديثه تربط بين الحرب والفقر. هنا أصبح كينج هدفًا رئيسًا لمكتب التحقيق الفيدرالي IBF، الذي تنصت على كينج، وهدده وابتزه، بل اقترح عليه في خطاب مجهول أن يقوم بالانتحار. رغم ذلك كان كينج مصرًّا على سياسة اللاعنف، وقد خطط لعملية معسكر الفقراء في واشنطن دون أخذ موافقة الرئيس، وذهب إلى ممفيس لدعم إضراب عمال القمامة، وهناك تم اغتياله.

وقد أدى مقتل كينج إلى اندلاع مظاهرات في كل أنحاء البلاد، وقتل فيها العديد من السود. وتراكمت الأدلة وكان مفادها أنه بالرغم من كل قوانين الحقوق المدنية التي صدرت، فإن المحاكم لم تكن لتحمي السود من العنف والظلم.

كان هناك مخطط من العنف ضد قادة المنظمات الراديكالية وتم مهاجة العديد من الأماكن التابعة لهم وقتل بعض قادتهم من قبل أفراد البوليس.

هل كانت الحكومة تتحول إلى القتل والإرهاب؛ لأن الامتيازات التي تمثلت في التشريعات والخطب لم تؤت ثمارًا؟ اكتُشف فيما بعد أن الحكومة في سنوات حركة الحقوق المدنية، وفي الوقت الذي كانت تمنح فيه الامتيازات عن طريق الكونجرس، كانت تتحرك من خلال مكتب التحقيق الفيدرالي للقيام بالقضاء على الجماعات الردايكالية. وفي الفترة من عام **1956** إلى عام **1971** وضع مكتب التحقيق الفيدرالي برنامجًا ضخمًا، فقد قام بتنفيذ **295** عملية ضد الجماعات السوداء، لكن هذه الجماعات أبدت صلابة شديدة في مقاومة عمليات تقويضها.

هل كان هناك خوف من أن يتحول السود من مجال الانتخابات (وهي التي يمكن السيطرة عليها) إلى الساحة الأكثر خطرًا -أي: مجال الثروة والفقر- أي: الصراع الطبقي.

بدأت محاولات احتواء للسود كما حدث تاريخيًّا مع البيض، وتتلخص هذه المحاولة في غواية عدد صغير للوقوع تحت تأثير الإغراءات الاقتصادية، ودعي قادة منظمات السود إلى البيت الأبيض وتم منحهم وظائف ومساعدات مالية للسود. وبدأ بعض رجال الأعمال في دعم كليات الزنوج في الجنوب، ومنحهم فرصًا للعمل.

كان هناك قليل من التغيير وكثير من الدعاية والإعلان. وبدأت تظهر وجوه كثيرة للسود في الصحافة والتلفزيون بما يعطي انطباعًا بالتغيير ويسمح بإدخال عدد صغير من القادة السود في مجال المناخ السائد. نعم عدد صغير لكنه شديد الدلالة.

الفصل الثامن عشر

فيتنام: النصر المستحيل

في الفترة ما بين عام **1964** إلى عام **1972**، قامت أغنى وأقوى دولة في التاريخ ببذل أكبر جهد عسكري، لم ينقصه سوى القنابل النووية، لكي تهزم حركة ثورية قومية في بلد زراعي صغير، وفشلت في ذلك. عندما حاربت الولايات المتحدة في فيتنام كانت تمثل التكنولوجيا الحديثة المنظمة في مقابل البشر المنظمين، وانتصر البشر. وفي أثناء ذلك تشكلت في الولايات المتحدة أعظم حركة مناهضة للحرب شهدتها البلاد، تلك الحركة التي لعبت دورًا خطيرًا في إنهاء حرب فيتنام.

في خريف **1945** أُجبرت اليابان بعد هزيمتها على مغادرة الهند الصينية، وهي المستعمرة الفرنسية السابقة التي احتلتها اليابان في بداية الحرب. وفي الوقت نفسه كانت هناك حركة ثورية قد نمت هناك، وكانت عازمة على إنهاء السيطرة الاستعمارية وتحقيق حياة جديدة لفلاحي الهند الصينية. وقد حارب الثوار تحت قيادة هو شي منه.

في دراسة سرية تم تسريبها، كانت قد أجرتها وزارة الدفاع الأمريكية جاء فيها أن هوشي حول البلاد إلى منظمة سياسية كبيرة قادرة على المقاومة الفاعلة، وكان هوشي القائد الوحيد الذي ضمن لنفسه ولاء وإخلاصًا كبيرين بين الفيتناميين.

أعادت القوى الأوروبية احتلال الهند الصينية. وأرسل هوشي منه العديد من الخطابات إلى الرئيس ترومان مذكرًا إياه بوعود ميثاق الأطلنطي، لكن ترومان لم يرد على أي من الرسائل.

في أكتوبر **1946** أمطر الفرنسيون أحد موانئ فيتنام بالقنابل، وبدأت حرب السنوات

الثماني بين حركة "فيت منه" وبين الفرنسيين. وقدمت الولايات المتحدة مساعدات عسكرية ضخمة للغاية لمساعدة الفرنسيين، كانت الولايات المتحدة تمول **80٪** من الجهد الفرنسي في الحرب.

ولكن لماذا كانت تفعل الولايات المتحدة ذلك؟ كان ما يقال لعامة الشعب: إن الولايات المتحدة كانت تساعد في وقف انتشار الشيوعية في آسيا. أما في الأجندة السرية للأمن القومي، فقد كان هناك حديث لما يسمى بنظرية الدومينو، التي كانت تعني أنه لو سقط بلد تحت هيمنة الشيوعية، فسوف تتبعه البلاد المجاورة له في السقوط كقطع الدومينو، لذلك من المهم حماية الدولة الأولى في الصف من السقوط.

وأشارت مذكرة سرية لمجلس الأمن القومي عن أهمية تلك المنطقة السياسية والاقتصادية، وأنها المصدر الرئيسي للمطاط والقصدير، كما أنها منطقة منتجة للبترول.

في عام **1954** وجد الفرنسيون أنفسهم غير قادرين على كسب التأييد الشعبي الفيتنامي، الذي كان يقف في صلابة وراء هوشي منه؛ فاضطروا للانسحاب. نصت اتفاقية الانسحاب على أن ينسحب الفرنسيون مؤقتًا إلى الجزء الجنوبي وأن يبقى هوشي منه وأتباعه في الشمال، وأن تجرى انتخابات خلال عامين بشأن توحيد فيتنام. تحركت الولايات المتحدة سريعًا لتحول دون تلك الوحدة. وجاءت بأحد المسؤولين الفيتناميين "نجو دين ديام" والذي كان يعيش في أمريكا ووضعته على رأس نظام يحكم الجنوب، وشجعته على عدم إقامة الانتخابات. ساءت شعبية الرجل، فقد كان كاثوليكيًّا بينما غالبية الشعب بوذيين، كما أنه كان قريبًا من أصحاب المزارع، ولم تسفر مزاعمه عن الإصلاح الزراعي في شيء، كما أنه سجن معارضيه، وتقاعس عن أي إجراءات إصلاحية.

انتشرت المعارضة سريعًا ضد ديام، ودعمها الشمال، وتزايدت حركة المقاومة

ونظمت نفسها بشكل قوي. وفقًا لاتفاقية جنيف كان مسموحًا للولايات المتحدة أن يكون لها **685** مستشارًا عسكريًّا في جنوب فيتنام، لكنهم بعد ذلك قامت الولايات المتحدة سرًّا بإرسال عدة آلاف، وصل في عهد كينيدي إلى **16** ألف، وبدأ بعضهم في الاشتراك في القتال. أصبح ديام عقبة في سبيل إحكام السيطرة على فيتنام، وتآمر عليه عدد من جنرالاته عام **1963** برعاية أحد ضباط المخابرات الأمريكية والسفير الأمريكي، وأطاحوا بالرجل وقبض عليه بعد ذلك وتم قتله.

في عام **1964** لجأ الرئيس الأمريكي جونسون إلى استخدام عدة أحداث ضبابية في خليج تونكن لشن الحرب على فيتنام، من خلال الادعاء أن المدمرات الأمريكية تعرضت للهجوم. وقد اتضح فيما بعد أن كل تلك الادعاءات كانت مختلقة، وأن أكبر المسؤولين كذبوا على الرأي العام. بدأت الطائرات الحربية في إمطار شمال فيتنام بالقنابل. وتوالى وصول الجنود الأمريكين إلى فيتنام؛ وبحلول **1968** كان هناك أكثر من نصف مليون جندي أمريكي. كانت مناطق كبيرة من جنوب فيتنام قد أعلنت مواقع قتالية، وهو ما يعني أن كل من يتبقى فيها من الناس سواء كانوا أطفالاً أو كبارًا في السن يعتبر عدوًّا. تم ارتكاب العديد من المجازر الوحشية في حق المدنيين وأبيدت قرى بأكملها. وقامت المخابرات الأمريكية في برنامج سري "عملية العنقاء" بإعدام **20** ألف فيتنامي يشتبه في أنهم أعضاء في منظمات شيوعية. وقد كتب محلل سياسي أمريكي واصفًا تلك العملية: رغم أن برنامج العنقاء أدى إلى قتل كثير من المواطنين الأبرياء، فإنه قضى على أعضاء كثيرين من البنى التحتية للمنظمات الشيوعية.

كانت شعبية الثوار تتزايد، وقضى الثوار الشماليون على هيمنة الأثرياء والحكومة، وقاموا بتوزيع الأراضي على المعدمين والمتعاونين مع الثوار.

في أوائل **1969** بدأت وحشية الحرب تمس ضمير كثير من الأمريكيين. بالنسبة لأمريكيين آخرين، كانت المشكلة أن الولايات المتحدة غير قادرة على الانتصار في

الحرب، في حين كان **40** ألف جندي أمريكي قدا ماتوا في فيتنام حتى ذلك الوقت.

في خريف نفس العام تم انتخاب نيسكون رئيسًا للبلاد، وتعهد بالانسحاب من فيتنام. وبدأ في سحب القوات حتى إنه بحلول **1972** كان عدد الجنود الأمريكيين في فيتنام أقل من **150** ألف جندي، غير أن القصف لم يتوقف. كانت سياسة نيكسون هي "فتنمة الحرب" بمعنى أن تقوم حكومة سايجون (حكومة الجنوب الموالية للولايات المتحدة) مع القوات الفيتنامية باستخدام السلاح الأمريكي والاستمرار في الحرب. لم يكن نيسكون ينهي الحرب. إنه كان ينهي الوجه الكريه فيها الذي تمثل في تورط الجنود الأمريكيين في حرب تدور في بلد بعيدة.

كانت حركة المناهضة للحرب قد أتت من خلال حركة الحقوق المدنية، ربما لأن التجربة التي خاضها السود مع الحكومة جعلتهم لا يصدقون زعمها بأنها تحارب في سبيل الحرية. وتوسعت الدائرة لتشمل أعدادًا ضخمة من الأمريكيين. وأعلنت لجنة التنسيق الطلابية السلمية CCNS في أوائل عام **1966** أن الولايات المتحدة تنتهج سياسة عدوانية في انتهاك واضح للقانون الدولي، وطالبت بخروجها من فيتنام. كما بدأ الشباب المطلوب للتجنيد في رفض الخدمة أو الاستدعاء. ورفض محمد علي أحد نجوم الرياضة الخدمة فيما أسماه حرب الرجل الأبيض، فقامت سلطات الملاكمة بسحب لقب بطل منه. كما اكتسبت حركة المناهضة للحرب جمهورًا عريضًا من القساوسة وراهبات من الكنيسة الكاثوليكية. كما انخرط الطلاب بأعداد كبيرة في مسيرات الاحتجاج المبكرة ضد الحرب. كما تزايد هروب الجنود من القوات المسلحة، حيث ذهب الآلاف إلى أوروبا الغربية، واتجه معظم الهاربين إلى كندا. كما انتشرت الصحف السرية المعادية للحرب في القواعد العسكرية. كما شكل الجنود العائدون من فيتنام جماعة أطلقوا عليها "محاربو فيتنام القدماء ضد الحرب".

استطاع دانيل ايلسبيرج الاقتصادي وضابط المارينز السابق، الحصول على وثائق

هامة وسرية عن حرب فيتنام خلال عمله في مؤسسة "راند" والتي كانت تقوم بإجراء أبحاث سرية للحكومة الأمريكية، وقد ساعد ايلسبيرج وزارة الدفاع في كتابة تاريخ الحرب في فيتنام، لكنه بمساعدة صديق له تم تسريب ونشر وثيقة مكونة من سبعة آلاف صفحة عما فعلت الولايات المتحدة في فيتنام. حاولت إدارة نيكسون وقف النشر وإدانة الرجلين لكن القضاء رأى في ذلك تقييدًا لحرية الصحافة، ومن ثم فهو أمر غير دستوري، كما ألغى القاضي محاكمة الرجلين لأن أحداث فضيحة ووتر جيت كشفت عن ممارسات غير سليمة من قبل الجهة المدعية.

سحب الولايات المتحد قواتها، لكنها استمرت في تقديم الدعم لحكومة سايجون. وعندما بدأت قوات شمال فيتنام هجماتها في أوائل عام **1975** على المدن الرئيسية في جنوب فيتنام، انهارت الحكومة، وفي أواخر أبريل **1975** دخلت قوات شمال فيتنام عاصمة الجنوب، وهرب سايجون وموظفو السفارة الأمريكية، وتوحد الشمال والجنوب وصارا يسميان جمهورية فيتنام الديمقراطية.

الفصل التاسع عشر

الستينيات: سنوات المفاجآت

بعد عام **1920** صار من حق النساء التصويت في الانتخابات كالرجال، غير أن وضعهن التابع لم يتغير كثيرًا. كان النساء يستطعن الخروج من سجن الزوجية والأمومة والأنوثة وعمل البيت والتجميل والعزلة عندما يكون الاحتياج إليهن شديدًا، سواء كان ذلك في الصناعة أو في الحرب أو في الحركات الاجتماعية. وفي كل مرة كانت النزعة العملية تخرج المرأة من سجنها. وبمجرد انتهاء الظروف تظهر المحاولات من جديد لدفعها للخلف. وهذا ما دفع النساء إلى النضال من أجل التغيير. وبدأت النساء العاملات من الطبقة المتوسطة الكلام عن المشاكل التي تواجه المرأة بشكل عام، وظهرت العديد من الكتابات في هذا المجال.

في عام **1967** بدأت النساء في الحركات الاجتماعية والسياسية المختلفة في الاجتماع بعضهن ببعض بوصفهن نساء. وفي عام **1968** قامت النساء بمسيرة في واشنطن من أجل مناهضة الحرب على فيتنام. عند تلك النقطة كان هناك بعض الخلاف بين النساء، بل بين كثير من الرجال، حول ما إذا كان على النساء أن يناضلن في القضايا النسائية فقط، أم عليهن أن يشتركن في الحركات العامة المناهضة للعنصرية والرأسمالية والحرب. كان واضحًا أن هناك نموًّا في التوجه النسوي.

وفي خريف **1968** قامت جماعة نسوية بالاحتجاج على اختيار ملكة جمال أمريكا، ثم قاموا بتتويج نعجة كملكة لجمال أمريكا. لكن الأهم من ذلك أن الناس بدأوا يتحدثون عن تحرر النساء.

بدأت الصحف والمجلات النسائية في الظهور على المستوى المحلي والمستوى القومي على السواء، وظهرت كتب كثيرة عن تاريخ المرأة والحركات النسائية. وفي

عام **1967** وبعد تضامن الجماعات النسائية، وقع الرئيس جونسون على أمر تنفيذي يحظر التمييز الجنسي في الوظائف الفيدرالية.

ربما كان التأثير الأقوى للحركة النسائية في الستينيات بعد الانتصار في قضيتي الإجهاض وتكافؤ فرص العمل. وفي ذلك الوقت كان هناك لأول مرة نقاش صريح للتفرد البيولوجي للمرأة، وبدأ الحديث حول أمور لم يكن من قبل التحدث عنها كالدورة الشهرية والشذوذ الجنسي وما شابه. ورأى بعض المنظرين أن مثل هذا النقاش أكثر أهمية فيما يتعلق بقهر النساء من أي نظام اقتصادي.

كان ذلك وقت الانتفاضات وحركات التمرد، فإذا كانت الأسرة التي هي أكثر السجون تعقيدًا، قد أصابها التمرد، فقد كان من المنطقي أن يكون هناك تمرد في أكثر السجون وحشية. وتزايدت حركات التمرد في السجون على نحو كبير في الستينيات وأوائل السبعينيات. واكتسبت هذه الحركة صبغة سياسية غير مسبوقة.

كانت السجون في الولايات المتحدة انعكاسًا واضحًا للنظام الأمريكي نفسه، من حيث الفروق الصارخة بين الأغنياء والفقراء والعنصرية وتأليب الضحايا بعضهم ضد بعض، والإصلاحات التي لا تنتهي والتي لا تغير إلا القليل. يومًا قال دوستويفسكي: "يمكننا الحكم على مدى تحضر أي مجتمع من خلال أحوال سجونه".

كانت السجون ممتلئة بالفقراء خاصة السود. كان الفقراء أكثر ارتكابًا للجرائم، ولم يكن الأغنياء في حاجة لارتكاب جرائم ليحصلوا على ما يريدون، والقوانين كانت دائمًا في جانبهم، وكانوا يلقون معاملة طيبة من القضاة.

اكتسبت حركات التمرد في السجون في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات صبغة مختلفة عن كل الحركات السابقة، لقد وصف سجناء مركز كوينز للاعتقال أنفسهم بأنهم "ثوريون". وكان السجناء في كل البلاد متأثرين إلى حد كبير بحالة القلق التي

كانت تسود البلاد من ثورة السود إلى انتفاضة الشباب إلى الحركات المناهضة للحرب في فيتنام. أكدت تلك السنوات للسجناء ما كانوا يشعرون به، وهو أنه مهما كان جرمهم فإن الحكومة التي أدخلتهم السجون تقترف جرائم أكبر منها من قتل الشعب الفيتنامي وإرسال الشباب الأمريكي ليلاقي حتفه في الحرب. وفي الوقت نفسه كان المسؤولون ينتهكون الحقوق المدنية للسود دون مراعاة للقانون، فضلاً عن أنه لم تكن هناك محاكمة لهؤلاء المسؤولين.

بدأت الكتب التي تتناول حركة السود للحقوق المدنية والكتب التي تتناول التورط الأمريكي في فيتنام تتسرب إلى السجون. وبدأ يتزايد النموذج الذي أرساه السود والمتظاهرون ضد الحرب في فيتنام في الشوارع. كان تحدي النظام الذي لا قانون له هو الحل الوحيد.

كان هناك دائمًا السجناء السياسيون، أي أولئك الذين سجنوا بسبب انضمامهم إلى حركات راديكالية أو معارضتهم للحرب. لكن في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، ظهر نوع جديد من السجناء السياسيين. كان هؤلاء عبارة عن متهمين عن جريمة عادية، لكنهم في السجون استيقظ وعيهم السياسي، حيث بدأ بعضهم يربط بين جريمته وأزمته الشخصية وبين النظام الاجتماعي. ومن ثم تحولوا ليس إلى التمرد الفردي ولكن إلى الفعل الجماعي، فقد أصبحوا -وسط بيئة تفرض على الموجود فيها أن يركز على سلامته الشخصية نتيجة الوحشية السائدة- معنيين بحقوق الآخرين وأمانهم.

كان من أشهر هؤلاء السجناء جورج جاكسون الذي تغير بعد دخوله السجن وتحول لثائر له كتابات ثورية عديدة اشتهرت، وكان لتأثيره عامل كبير في قتله، إذ ادعت إدارة السجن أنه قتل أثناء محاولات فرار، وهو ما نفاه الكثيرون وأكدوا وجود نية مبيتة للتخلص منه بسبب آرائه الثورية، وقد أدى مقتله إلى تمردات في سجون عديدة، كان

أشهره تمرد سجن أتيكا، الذي نجح خلاله السجناء في إقامة مجتمع بلا عنصرية. بعد ذلك قامت إدارة السجن بإنهاء التمرد من خلال عدد ضخم من الحراس وأفراد الحرس الوطني وقتل **31** من السجناء.

كان ما يحدث هو تنظيم السجناء أنفسهم ورعايتهم لبعضهم البعض، ومحاولة تحويل التمرد والغضب الفردي إلى جهد جماعي من أجل التغيير. وتشكلت جماعات دعم للسجناء في كل أنحاء البلاد. وخرجت دراسات أكثر عن الجريمة والعقاب، وظهرت حركات تطالب بإلغاء السجون على أساس أنها لم تمنع الجريمة بل لعلها ساهمت في ازدياد معدلها. وكانت هناك مناقشات لإيجاد بدائل للسجون كإنشاء بيت للسجناء داخل كل مجتمع على المدى القصير (باستثناء من يستعصي عنفهم على العلاج) وتوفير الحد الأدنى من الأمان الاقتصادي على المدى البعيد.

وبدأ السجناء يفكرون في قضايا تتجاوز حدود السجن، ووقع بعضهم على بيان يطالب بسحب القوات الأمريكية من فيتنام. كما أحرز السجناء بعض النصر في قضاياهم أمام المحاكم، وكان لذيوع أحداث أتيكا وتكوين جماعات دعم السجناء أثر كبير.

كان ذلك وقت التمرد والثورة، فقد تمردت النساء والسجناء الذين ظل عالمهم محجوبًا عن عيون الناس، ولكن أكبر المفاجآت كانت لم تحدث بعد.

كان من المعتقد أن الهنود الحمر بعد أن قام الغزاة البيض بإبادة غالبيتهم ودفعوا الباقين منهم للعيش في محميات، لن يسمع أحد أصواتهم ثانية.

حاول الهنود التخلص من حياة المحميات التي فرضتها عليهم الحكومة الأمريكية، وحاول الهنود العودة إلى حياتهم القبلية القديمة. في وقت من الأوقات بدا أن الهنود أو انصهارهم في المجتمع الأمريكي أمرًا حتميًّا بسبب مغادرة الشباب من الهنود للمحميات مما أدى إلى تناقص الهنود. لكن عددهم بدأ في الازدياد ثانية وكأنهم

نبات يرفض أن يموت، وبدأ في الازدهار. وبحلول عام **1966** كان هناك **800** ألف يعيش نصفهم في المحميات وينتشر النصف الآخر في مدن البلاد المختلفة. وبدأ الهنود في تجميع طاقاتهم من أجل المقاومة وتغيير أحوالهم، وأنشأوا مجلس الشباب الهندي الوطني بحضور **500** من قادة الهنود في شيكاغو.

بدأ الهنود الاقتراب من الحكومة الأمريكية بشأن موضوع المعاهدات. فقد وقعت الولايات المتحدة أكثر من **400** معاهدة انتهكتها جميعًا. وفي ولاية واشنطن عام **1968** منعت الشرطة الهنود من الصيد في أماكن مخصصة لهم بمعاهدات سابقة، ما جعل الهنود يلجأون للاحتجاج والتمرد، وذهب بعضهم إلى السجن ليلفت النظر إلى القضية، وكان من ضمنهم هنود شاركوا في حرب فيتنام. لم يعتمد الهنود في كفاحهم على المقاومة البدنية فقط، ولكن على الكلمة -أيضًا، فأنشأت جماعة من الهنود عند الحدود بين كندا والولايات المتحدة صحيفة للتعبير عن آرائهم.

قامت جماعة من الهنود بوضع أيديهم على جزيرة ألكاتراز بخليج سان فرانسيسكو وأعلنوا احتلالهم لها. وأعلن الهنود أنهم سيجعلون من الجزيرة مركزًا للدراسات الهندية لشؤون البيئة. بدأ توافد الهنود على الجزيرة وبلغ عددهم بعد عشرين يومًا من احتلالهم لها **600** فرد. في الشهور التالية قطعت الحكومة خطوط التليفون والكهرباء والماء عن الجزيرة، واضطر كثيرون إلى مغادرتها، في حين أصر آخرون على البقاء وظلوا هناك لمدة عام كامل. بعد ذلك قامت قوات فيدرالية باحتلال الجزيرة وإزاحة الهنود عنها.

بدأ الهنود يفعلون شيئًا بشأن تعرضهم للتدمير وتعرض ثقافتهم للإبادة. ففي عام **1969** وفي أثناء الاجتماع الأول للباحثين الهنود الأمريكيين، تكلم الهنود بسخط شديد عن تجاهلهم والإساءة إليهم في الكتب المدرسية التي يدرسها الأطفال. وتأسست دار نشر خاصة بالتاريخ الهندي. وبدأ هجوم في المدارس ضد الصورة النمطية

للهنود، وتخلص المدرسون من الكتب المدرسية القديمة وبدءوا يستخدمون مادة جديدة.

في الستينيات والسبعينيات لم يقتصر الأمر على الحركة النسائية أو حركة السجناء أو حركة الهنود. كانت هناك ثورة عارمة ضد طريقة العيش القمعية والصناعية التي كانت تقبل كما هي دون نقاش. وقد أثرت هذه الثورة على كافة مناحي الحياة الشخصية مثل ولادة الأطفال وتربيتهم، والحب، والجنس، والزواج والملبس والموسيقى والفن والرياضة واللغة والطعام والدين والموت والتعليم.

مر السلوك الجنسي بتغيرات مذهلة. فلم يعد هناك سرية بشأن الجنس في مرحلة ما قبل الزواج. وعاش رجال ونساء معًا خارج مؤسسة الزواج. بل بدأ الشواذ جنسيًّا في التنظيم من أجل محاربة التمييز الذي يتعرضون له.

كان الغضب الكاثوليكي ضد الحرب في فيتنام جزءًا من ثورة عارمة داخل الكنيسة الكاثوليكية التي ظلت لوقت طويل رمزًا للمحافظة والعنصرية والشوفينية والحرب. وقد استقال كثير من القساوسة والراهبات من الكنيسة وانفتحوا على الحياة العامة وتزوجوا وصار لهم أطفال.

الفصل العشرون

السبعينيات

في مطلع السبعينيات بدا واضحًا أن النظام يفقد السيطرة وظهر عدم قدرته على الاحتفاظ بولاء الشعب وثقته. ففي مستهل **1970** ورجوعًا إلى ما أظهر مركز الأبحاث التابع لجامعة ميتشيجان، كانت الثقة في الحكومة متدنية لدى كل مستويات الشعب وإن كانت تختلف من طبقة لأخرى. فالبنسبة للطبقة المثقفة أظهر **40٪** منهم تدني ثقتهم السياسية في الحكومة، أما بالنسبة للطبقة العاملة فالنسبة كانت أكبر حيث وصلت إلى **66٪**.

حتى المحاكم والقضاة والمحلفون لم يعودوا يتصرفون كالمعتاد، وقاموا بتبرئة كثير من الراديكاليين وجماعة الفهد الأسود وغيرهم. ومما لا شك فيه أن هذا الإحساس الوطني بالعداء للحكومة ظهر من بعد حرب فيتنام وما شهدته من خزي أخلاقي، ثم جاء الاحتقار السياسي لحكومة نيكسون، خاصة بعد فضيحة ووترجيت التي تسببت في استقالته. وكانت الكلمة النهائية التخلص من نيكسون مع إبقاء النظام كما هو، وحل فورد محل نيكسون.

جاء حادث مايا جويه عام **1975** وهي السفينة الأمريكية التي تم إيقافها بالقرب من كمبوديا التي كان يحكمها آنذاك نظام ثوري. وعلى الرغم من المعاملة الجيدة التي لاقاها طاقم السفينة من الكمبوديين وتصريح الصينيين بأنهم يقومون بالضغط على كمبوديا لإطلاق سراح البحارة، قامت الولايات المتحدة بهجوم جوي على السفن الكمبودية في الوقت الذي كانت فيه قبل ساعة من الهجوم سفينة تقل البحارة الأمريكيين عائدين لقاعدتهم البحرية، وكان ذلك بعلم الولايات المتحدة، لكن رغم ذلك تم الهجوم. فلماذا إذن كان الهجوم والاعتداء العسكري؟ تفسير ذلك ورد في نيويورك تايمز حينها أن المسؤولين داخل الإدارة الأمريكية ومنهم وزير الخارجية هنري كيسنجر

ووزير الدفاع جيمس شليزنجر كانوا يرغبون بشدة في إيجاد وسائل فعالة لتأكيد غاية الرئيس فورد وهي احتفاظه بالزعامة على مستوى العالم. وقد جاءت الفرصة لتأكيد ذلك باختطاف السفينة. إن خبراء الاستراتيجية والتخطيط اعتبروا أن حادث اختطاف السفينة يمكن أن يعد اختبارًا لسطوة الولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا، والتي كانت تتطلع إليها الولايات المتحدة منذ انهيار الحكومة المتحالفة في جنوب فيتنام وكمبوديا.

مما لا شك فيه أن فضيحة ووترجيت أثرت سلبًا على صورة مكتب التحقيق الفيدرالي والمخابرات المركزية الذين أخلوا بالقانون الذي أقسموا على تنفيذه. قامت سلسلة من التحقيقات مع جهاز المخابرات الأمريكية على أساس أنه تعدى مهمته الطبيعية من جمع المعلومات الدقيقة، وقام بعمليات سرية. فقد تآمرت المخابرات على الإطاحة بحكومة شيلي بقيادة ألليندي وهو من الماركسيين، وقد وصل للحكم بانتخابات نزيهة. وقد لعبت شركة الاتصالات TTI الشهيرة دورًا أساسيًّا في هذه المؤمراة لما تمتلكه من مصالح كبيرة في شيلي. وبعد الإطاحة بحكومة ألليندي ووصول حكومة الجنرال بينوشيه قام السفير الأمريكي في ديفيد بوبر بالاقتراح على حكومة شيلي أن تقلل من انتهاكاتها لحقوق الإنسان، فتم توبيخه من كيسنجر الذي قال: ”أبلغوا بوبر أن يكف عن إلقاء محاضرات في العلوم السياسية“.

أما بالنسبة للتحقيقات الخاصة عن مكتب التحقيق الفيدرالي، فقد كشفت عن أنه قام لعدة سنوات بعمليات غير قانونية لتمزيق كل الجماعات المعارضة واليسارية وتدميرها. تم تشكيل لجنة من مجلس الشيوخ لوضع التقرير النهائي عن التحقيقات، فقامت اللجنة بإرسال ما تم الحصول عليه من معلومات عن المخابرات المركزية إلى المخابرات المركزية نفسها لترى إذا أرادت أن تحذف أيًّا من هذه المعلومات والأدلة. وعلى الرغم من وجود معلومات غاية في الأهمية في التقرير، فإننا لم نتمكن من معرفة ما تم حذفه، فالتقرير النهائي يعتبر تسوية بين اجتهاد اللجنة وحذر

المخابرات المركزية. حتى بعد انتهاء اللجنة من تقريرها النهائي ظل التقرير سريًّا حتى تم تسريبه عن طريق مراسل لقناة فضائية، لكن لم يتم نشر التقرير في أي من الصحف الرئيسية مثل الواشنطن بوست والنيويورك تايمز، وأوقفت القناة مراسلها الذي سرب التقرير. وهذا يعد دليلاً على مدى التعاون بين الأجهزة الإعلامية والحكومة لتأكيد نظرية الأمن القومي.

كشف تقرير اللجنة عن استخدام الاستخبارات المركزية المئات من الأكاديميين مثل المديرين وأعضاء هيئات التدريس والطلاب للتأثير في عقول الأمريكيين من خلال كتابة بعض الموضوعات والكتب لكي تستخدم كدعاية في الخارج. وفي عام **1961** كتب أحد مسؤولي المخابرات المركزية: "إن الكتاب هو أهم سلاح للدعاية الاستراتيجية". وقد اكتشفت اللجنة أن الاستخبارات قامت بتجهيز أكثر من ألف كتاب وطبعه حتى عام **1967**.

استمر النظام خلال العام **1974-1975** في تبرئة الدولة من الأفعال المشينة التي حدثت، محاولاً كسب ثقة الشعب من جديد. لكن على الرغم من الجهود الكبيرة المبذولة، كانت هناك علامات كثيرة من الشك وأحيانًا العداء لرؤساء الحكومة والجيش وأصحاب الشركات الكبرى.

في الوقت الذي كانت تستعد فيه الولايات المتحدة عام **1976** للاحتفال بالذكرى الثانية لعيد الاستقلال، قام بعض المفكرين والزعماء السياسيين من اليابان والولايات المتحدة وأوروبا الغربية بالاجتماع فيما سموه اللجنة الثلاثية، وقاموا بإصدار تقرير أسموه قدرة الأنظمة الديمقراطية على الحكم. وكتب الجزء الخاص بالولايات المتحدة صامويل هانتجتون أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد، والذي عمل -أيضًا- مستشارًا للبيت الأبيض لفترة طويلة أثناء حرب فيتنام.

قال هانتجتون في الجزء الذي كتبه بعنوان المرض الديمقراطي: إن أمريكا شهدت

في الستينيات تصاعدًا كبيرًا في الديمقراطية. كما شاهدت تصاعدًا في نسبة الوعي لدى الأقليات العرقية والسود والهنود والصينيين والنساء وغيرهم. كما أشار هانتجتون إلى علامات تدل على تقلص سلطة الحكومة وكيف غير الطلب المتكرر بالمساواة في الستينيات من شكل الميزانية الفيدرالية.

قال هانتجتون: إن موجة الديمقراطية في الستينيات مثلت تحديًا للنظم السائدة من السلطة العامة والخاصة. مما أوجد مشاكل لقدرة الديمقراطية على الحكم في السبعينيات. كان الأشد خطورة في كل هذا هو اضمحلال سلطة الرئيس.

الشيء الذي كان يقلق هانتجتون هو تضاؤل سلطة الحكومة. فالاعتراض على حرب فيتنام، على سبيل المثال، أدى إلى رفض الشباب الالتحاق بالجيش. والسؤال الذي يطرح نفسه على نحو ضروري الآن هو: هل إذا ظهر أي تهديد جديد لأمن البلاد في المستقبل (وهو الشيء الحتمي الحدوث) هل تمتلك الحكومة القدرة على حشد كل ما تستطيع للتصدي لهذا التهديد؟

وانتهى هانتجتون إلى أن المشكلة تكمن في زيادة الديمقراطية، واقترح وضع بعض الحدود على الديمقراطية السياسية. كان هانتجتون يقوم بتبليغ كل ما توصل إليه إلى منظمة شديدة الأهمية لمستقبل الولايات المتحدة، وهي اللجنة الثلاثية التي تأسست عام **1973** بواسطة ديفيد روكفيللر وزبجنيو برجنيسكي.

الفصل الحادي والعشرون

كارتر - ريجان - بوش: اتفاق الحزبين

بعد انتهاء حرب فيتنام، ظهرت فضيحة ووترجيت، وظهرت مشاكل اقتصادية خطيرة، وكان من الجلي أن هذه المشكلات لن تجد حلولاً دون إجراء تغييرات جذرية للهياكل الاقتصادية والاجتماعية للأمة. ومع ذلك لم يطرح أي من مرشحي الأحزاب الرئيسية هذه التغييرات على الإطلاق.

ونتيجة لهذا تراجعت أعداد الناخبين الذين يدلون بأصواتهم. كان هناك حاجز يمنع الشعب من الاقتناع بأن كل شيء على ما يرام وبأن على الناس أن يضعوا آمالهم المستقبلية في أيدي ساسة واشنطن، الذين لم يهتموا سوى بنفوذهم السياسي بالرغم من كل الرطانة والخطابة والوعود التي كانوا يتفوهون بها.

وانعكست هذه الحالة من التباعد بين السياسيين والشعب على المجال الثقافي، فلم يهتم التلفزيون الحكومي بالجمهور العادي. وكان برنامج توك شو يستضيف يوميًّا اليمنيين متجاهلاً اليساريين. تحول اهتمام المواطن ناحية برامج التسلية وبرامج النميمة التي تهتم بالحديث عن المشاهير، وآلاف البرامج التي تتحدث عن أهمية الاعتماد على النفس.

كان هناك قطاع من المواطنين الذين حاولوا التمسك بالمبادئ المثالية التي سادت في الستينيات وأوائل السبعينيات. وبرغم تجاهلهم من الإعلام ورجال السياسة إلا أن دورهم كان نشطًا في تنظيم آلاف المجموعات المحلية التي انتشرت في البلاد، مطالبة بحماية البيئة وحقوق المرأة والاهتمام بأوضاع الرعاية الصحية وإسكان المشردين ومعارضة حجم الإنفاق العسكري.

كانت فترة رئاسة جيمي كارتر **1977-1980** محاولة من المؤسسة التي تمثلت في الحزب الديمقراطي، لجذب المواطنين الذين أحسوا بالضياع. وبالرغم من أن كارتر أبدى بعض إشارات التعاطف مع السود والفقراء، بالإضافة إلى حديثه عن حقوق الإنسان، فقد ظل تحت تأثير الحدود التاريخية السياسية للنظام الأمريكي القائم على حماية الثروات الاقتصادية الضخمة والنفوذ، والاحتفاظ بآلة عسكرية ضخمة امتصت الثروة القومية، بالإضافة إلى التحالف مع آلاف الأنظمة الديكتاتورية اليمينية خارج الولايات المتحدة.

كان يبدو أن كارتر كان وراء اختيار اللجنة الثلاثية. فقد أشار عضوان منها وهما روكفيللر وبرجينسكي إلى أن كارتر هو الشخص المناسب لانتخابات **1976**؛ لأن الحزب الجمهوري كان سيخسر الانتخابات بعد فضيحة ووترجيت.

وكانت المؤسسة ترى أن وظيفة كارتر العمل على تخلص الشعب من حالة اليأس التي تسيطر عليه من الحكومة والنظام الاقتصادي والإنفاق العسكري. حظي كارتر بتأييد شعبي، وبالرغم من أنه مليونير يعمل في زراعة الفول السوداني فقد قدم نفسه على أنه فلاح أمريكي بسيط. وعلى الرغم من من مساندته للحرب الفيتنامية فقد أظهر تعاطفًا مع من عارضوها، كما وعد بتخفيض الميزانية العسكرية.

في مؤتمر صحفي وجه كارتر انتقادًا للمحامين لاستغلال السلطة لصالح حماية الأغنياء، وعين وزيرة من السود، وجعل أحد دعاة حقوق الإنسان مندوبًا للولايات المتحدة في الأمم المتحدة، وعهد برئاسة جهاز خدمات الشباب إلى شاب من مناهضي الحرب.

ومع ذلك فقد كان من أخطر قرارات كارتر هو الالتزام بتقرير اللجنة الثلاثية الذي وضعه صامويل هانتجتون، حيث يرى التقرير أن الرئيس يجب عليه ألا يهتم بالمجموعة التي ساعدته في الفوز بالانتخابات. فعلى الرئيس عقب توليه الرئاسة مباشرة العمل

على كسب تأييد زعماء المؤسسات الكبرى.

انتهج كارتر سياسات مركبة مع الحكومات القمعية، فقد استخدم مندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة لإظهار النوايا الحسنة تجاه المنظمة الدولية والدول الإفريقية، كما حث جنوب إفريقيا على تغيير سياستها تجاه المواطنين السود. فقد كانت هناك حاجة استراتيجية لتسوية سلمية في جنوب إفريقيا، حيث كانت أراضيها تستخدم لزراعة أجهزة التعقب الراداري، كما كانت تمثل أهمية للاستثمارات الأمريكية، كما أنها مصدر مهم للمواد الخام خاصة الماس. لكل هذه الأسباب رغبت الولايات المتحدة في وجود حكومة قوية مستقرة في جنوب إفريقيا، خشية أن يؤدي القمع المستمر للمواطنين إلى نشوب حرب أهلية.

واستخدمت الولايات المتحدة نفس الأسلوب مع دول أخرى، أي الجمع بين الحاجات الاستراتيجية وتطور حقوق الإنسان، وبما أن الدافع الأساسي للتغيير هو المنفعة، وليس الإنسانية، فقد كان هناك حاجة لبعض التغييرات الطفيفة، مثل ما حدث في تشيلي من إطلاق سراح عدد قليل من السجناء السياسيين.

وفي عهد كارتر استمرت الولايات المتحدة في مساندة الأنظمة التي دأبت على سجن وتعذيب المنشقين عليها، والقيام بعمليات قتل جماعي في الفلبين وإيران وغيرها من الدول. علقت إحدى المجلات على ذلك قائلة: "إن السياسة الخارجية الأمريكية في السنوات الأربع القادمة ستستمر في العمل بالسياسة التي اتبعتها إدارتا نيكسون وفورد، وهذا لا يعد من السلبيات، فلابد من وجود استمرارية لأن هذا جزء من التاريخ".

بغض النظر عن براعة كارتر في السياسة الخارجية، فقد كان هناك بعض الأسس التي شاعت في أواخر الستينيات والسبعينيات، فقد كانت الشركات الأمريكية تمارس أنشطتها في جميع أنحاء المعمورة بشكل لم يسبق له مثيل. ففي بداية السبعينيات

كان هناك **300** شركة من بينها سبعة بنوك ضخمة، حصلت على **40٪** من صافي أرباحها من خارج الولايات المتحدة، وكانت هذه الشركات تسمى الشركات "متعددة الجنسيات" رغم أن الحقيقة هي أن **90٪** من موظفيها كانوا أمريكيين. وكانت هذه الشركات بوصفها تكتلات اقتصادية تمثل ثالث اقتصاد في العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

كان من الواضح من أرقام وزارة التجارة الأمريكية أن علاقة هذه الشركات العالمية بالدول الفقيرة هي علاقة المستغل لفترة طويلة. كان هذا يشبه الوضع الاستعماري القديم، حيث أصبحت أماكن الثروات الطبيعية فريسة للدول القوية التي تستمد قوتها من هذه الثروات المنهوبة. واعتمدت الشركات الأمريكية على الدول الفقيرة لكي تحصل منها على احتياجاتها الكاملة من الماس والقهوة والبلاتينيوم والزئبق والمطاط الطبيعي ومعدن الكوبالت.

وكانت إحدى القواعد الأخرى التي اتبعها البيت الأبيض، سواء كان يسكنه ديمقراطيون أو جمهوريون، تدريب الضباط العسكريين الأجانب. فقد كان للجيش الأمريكي مدرسة تسمى "مدرسة الأمريكتين" تخرج فيها آلاف الزعماء العسكريين من أمريكا اللاتينية، ومنهم على سبيل المثال ستة ضباط ممن اشتركوا في انقلاب شيلي العسكري الذي أطاح بحكومة الليندي. كما أشار قائد المدرسة للصحافة: "إننا نظل على اتصال بالضباط الذين تخرجوا في المدرسة".

حتى المساعدات الأمريكية المقدمة لضحايا الكوارث كانت تعتمد في سخائها على الولاء السياسي من جانب الدول المنكوبة. وقد نشرت الصحافة في **1975** أن كيسنجر بدأ سياسة قطع المساعدات عن الدول التي عارضت الولايات المتحدة في الاقتراعات التي تمت في الولايات المتحدة.

ظل الجانب العسكري يقتطع قدرًا كبيرًا من الميزانية القومية. على الرغم من وعود

كارتر بتخفيضها. ومقابل ذلك عارض كارتر المساعدات الحكومية التي تقدم للفقراء ممن هم في حاجة لعمليات إجهاض.

من ناحية أخرى كانت الآلة العسكرية الأمريكية تستخدم من أجل مساندة الأنظمة القمعية التي تحارب المتمردين اليساريين. فتم منح مساعدات لحكومة السلفادور القمعية، وحكومة نيكارجوا. وفي الثورة الإيرانية ساندت الحكومة الأمريكية شاه إيران ونظامه القمعي. وبعد هروب الشاه استضافته أمريكا، ما جعل بعض الطلاب الإيرانيين يسيطرون على مبنى سفارة الولايات المتحدة ويحتجزون رهائن بداخلها، مطالبين بعودة الشاه ومحاكمته.

وكانت تلك الحادثة بالإضافة إلى الضائقة الاقتصادية التي شعر بها الكثيرون، أحد الأسباب في هزيمة كارتر وفوز رونالد ريجان. كان فوز ريجان الذي خسر بعد ثماني سنوات أمام جورج بوش، يعني تولي حلقة أخرى من المؤسسة المسؤولية، وهي تفتقر إلى الليبرالية التي اتسم بها عهد كارتر، حتى وإن كانت محدودة. فالسياسات ستكون أكثر حماقة، وستنخفض مكاسب الفقراء، وتنخفض الضرائب لصالح الأغنياء، وستحدث زيادة في الميزانية العسكرية، وسيمتلئ نظام المحكمة الفيدرالية بالقضاة المحافظين، وستزداد محاولات القضاء على الحركات الثورية في منطقة الكاريبي.

كما حدثت فضيحة إيران/ كونترا التي تورط فيها ريجان ونائبه بوش، من خلال قيامهم بصفقة أسلحة مع إيران من أجل تحرير رهائن السفارة الأمريكية، والحصول على أموال لتمويل حركة الكونترا المضادة للثورة في نيكاراجوا. -قبل صفقة الكونترا كان ريجان يبحث عن تمويل سري لتلك الحركة وألح ريجان بنفسه على السعودية لتمويله بما لا يقل عن **32** مليون دولار.

كانت إدارتا بوش وريجان تسعيان للتغلب على الغضب الشعبي من عمليات التدخل العسكري الخارجي منذ حرب فيتنام. وقد منحت حرب الخليج الإدارة الأمريكية الفرصة

لتحقيق هذا الهدف. كان جورج بوش -الأب- في حاجة لشيء ما في هذا الوقت لترويج شعبيته -التي كانت تتراجع- بين الناخبين الأمريكيين. كانت تلك الأسباب بالإضافة إلى رغبة الولايات المتحدة القديمة في أن يكون لها دور بارز في السيطرة على مصادر البترول في الشرق الأوسط، هي الأسباب الرئيسية في اتخاذ قرار الحرب. ولم يطلع الشعب الأمريكي على هذه الدوافع، فقد كان شائعًا أن الولايات المتحدة ترغب في تحرير الكويت من الاحتلال العراقي، واتخذت جميع وسائل الإعلام تلك الذريعة للحرب، متجاهلة أن دولاً أخرى تعرضت للغزو دون أن تظهر الولايات المتحدة مثل ذلك الاهتمام (غزو إندونيسيا لتيمور الشرقية - غزو العراق لإيران- غزو إسرائيل للبنان).

ويبدو أن التبرير الأكبر للحرب كان أن العراق في طريقه لبناء قنبلة نووية، لكن الأدلة على ذلك كانت ضعيفة. إلا أن إدارة بوش كانت تحاول خلق هوس داخلي من القنبلة العراقية غير الموجودة من الأساس. وقد بدا بوش مصرًّا على شن الحرب، رغم توفر فرص عديدة للتفاوض حول انسحاب العراق من الكويت بعد الغزو مباشرة، ومن بينها الاقتراح العراقي، ومع ذلك لم تكن هناك استجابات من الولايات المتحدة. وعندما ذهب وزير الخارجية جيمس بيكر لمقابلة وزير الخارجية العراقي طارق عزيز، كانت تعليمات بوش هي: "لا مفاوضات".

كانت استطلاعات الرأي تظهر أن أقل من نصف الشعب يفضل الحل العسكري. وعندما بدأت حرب عاصفة الصحراء صورت الحكومة والأجهزة الإعلامية العراق كقوة عسكرية ضاربة، وهي صورة لا سند لها في الواقع، حيث كانت السيطرة لسلاح الجو الأمريكي. وأغرق المسؤولون الشعب الأمريكي بالصور التلفزيونية عن القنابل الذكية والتصريحات التي تؤكد توجيه قنابل الليزر تجاه الأهداف العسكرية، وقامت الشبكات الكبرى بتقديم هذه الادعاءات دون سؤال أو انتقاد. وربما ساهمت هذه الثقة في القنابل الذكية، والتي انتشرت بين المدنيين في تغيير الرأي العام من الانقسام حول الحرب إلى

مساندة الحرب بنسبة **85٪**. وكان العنصر الأهم من كسب الرأي العام هو أنه مع تدخل القوات العسكرية الأمريكية، تحول انتقاد الحرب ومعارضتها إلى خيانة للقوات الموجودة في ساحات القتال.

والحقيقة أن الشعب الأمريكي تعرض للخداع بشأن مدى دقة إصابة القنابل الذكية لأهدافها. ففي تصريحات لضباط في الاستخبارات ذكروا أن **40٪** من قنابل الليزر ربما تكون قد أخطأت أهدافها. كما يقدر جون ليمان وزير البحرية في إدارة ريجان، وقوع آلاف الضحايا بين المدنيين.

تم إبعاد ومنع الصحفيين الأمريكيين من الاقتراب من مواقع العمليات الحربية، وتعرض المراسلون للرقابة. ولم تكن الحكومة الأمريكية لتسمح بحدوث تأثير سلبي للصحافة، مثلما حدث في حرب فيتنام نتيجة التقارير الصحفية عن الخسائر المدنية وتأثيرها في الرأي العام.

قصفت الطائرات الأمريكية الجنود العراقين المنسحبين من الكويت، وتناثرت جثثهم على الرمال. وسببت العواقب البشرية للحرب صدمة بعد نهايتها، عندما اتضح أن قصف العراق قد أسفر عن مجاعات وأوبئة وموت عشرات الآلاف من الأطفال. في حين انتهت الحرب دون الاقتراب من بغداد وتركت صدام حسين في سلطته، ويبدو أن الولايات المتحدة أرادات إضعافه فقط وليس القضاء عليه حتى يقيم توازنًا مع إيران، فقبل حرب الخليج بسنوات كانت الولايات المتحدة تفضل إحدى الدولتين على الأخرى بوصفه جزءًا من استراتيجية توازن القوى. ولذلك لم تساند الولايات المتحدة حركات التمرد التي حدثت ضد صدام في أعقاب الحرب.

بعد انتهاء الحرب قدم برجينسكي تحليلاً لتلك الحرب قائلاً: من الآن سيخشى الجميع القوة العسكرية للولايات المتحدة، وأصبح الشرق الأوسط ومنطقة الخليج

العربي من مناطق النفوذ المهمة للولايات المتحدة الأمريكية.

ومع ذلك كان برجينسكي قلقًا من بعض العواقب السلبية مثل أن شدة الهجوم يثير شعورًا بالقلق من أن الأمريكيين لا يقيمون وزنًا لحياة العرب. وهذا يطرح السؤال الأخلاقي: ما هو الحجم المناسب للرد على العدوان؟ لقد تأكدت نقطة عدم الاهتمام بحياة العرب في أن الحرب قد أثارت موجة من المشاعر المضادة للعرب في الولايات المتحدة، حيث تعرض العديد من العرب الأمريكيين للكثير من الاعتداءات.

ويمكن اعتبار تقييم برجينسكي للحرب نموذجًا لوجهة نظر الحزب الديمقراطي، والتي توافقت مع وجهة نظر بوش بدرجة كبيرة، فقد شعر الحزب الديمقراطي بسعادة بنتائج الحرب، فبالرغم من أنه أظهر استياءه من الخسائر المدنية فإنه لم يظهر معارضة قوية.

الفصل الثاني والعشرون

المقاومة المسكوت عنها

في أوائل التسعينيات ومن خلال مراجعته لكتاب يتحدث عن التأثير الخطير للعناصر غير الوطنية من المفكرين الأمريكيين، حذر أحد الكتاب في مجلة نيو ريبابليك قراءه من وجود ما أسماه ثقافة مناوئة دائمة في الولايات المتحدة. وتعتبر هذه ملاحظة دقيقة، فعلى الرغم من الاتفاق السياسي للحزبين الجمهوري والديمقراطي في واشنطن على وضع قيود على قانون الإصلاح الأمريكي (مؤكدين أن رأس المال في مكانه الصحيح، وأن هناك محافظة على القوة العسكرية، وأن السلطة والثروة ما تزال في يد البعض القليل) فإن ملايين بل عشرات الملايين من الأمريكيين كانوا يرفضون جهرًا الموافقة على ذلك الاتفاق. وما يقوم به هؤلاء الرافضون من أفعال لا يذاع في وسائل الإعلام المختلفة. كان هؤلاء هم أصحاب الثقافة المناوئة.

وإذا كانت استجابة الحزب الديمقراطي لهؤلاء الأمريكيين أقوى من الحزب الجمهوري (الحزب الديمقراطي يعتمد على أصواتهم)، فإنها كانت استجابة محدودة بسبب ارتباطها بالمصالح المادية، مع وجود قيود على الإصلاحات الداخلية لاهتمام الدولة ببناء القوة العسكرية، حتى إن حرب الرئيس جونسون على الفقر في الستينيات كانت ضحية الحرب في فيتنام، ولم يستطع الرئيس كارتر أن يتخطى ذلك بسبب إصراره على الإنفاق الهائل على القوات المسلحة، وكان الجزء الأكبر منها لعمل مخزون كبير من الأسلحة النووية.

ظهر في عهد كارتر اتجاه مضاد للتسليح النووي من خلال عدد من نشطاء السلام المسيحيين. وقام أعضاء تلك الجماعة باحتجاجات ضد الحرب النووية أمام البنتاجون والبيت الأبيض وأماكن غير مصرح بالدخول فيها، وقد تم القبض على أعضاء هذه الجماعة أكثر من مرة.

مع الوقت تزايد عدد الجماعات المناهضة للتسليح النووي ووصل إلى ثلاثة آلاف جماعة، وانعكس رفض الشارع للتسليح النووي في الثقافة العامة، وفي الكتب والمجلات والمسرحيات والأفلام.

تزايدت أعداد الرافضين لأداء الخدمة العسكرية بسبب التسليح النووي، ومن أجل التأثير فيهم، تمت محاكمة من يقوم برفض طلب الالتحاق.

تعددت التظاهرات والاحتجاجات خلال تلك الفترة منتشرة في الريف والمدن، شاملة جميع الفئات من طلبة الجامعة والمعلمين والعمال والفلاحين والسود وغيرهم. كما لاقت حرب العراق احتجاجات ومظاهرات معارضة للحرب، وقامت نقابات العمال بعمل مؤتمرات لشجب الحرب وإدانتها. كما رفض العديد من الجنود أداء خدمتهم العسكرية ما تسبب في سجنهم وتسريحهم من الخدمة العسكرية.

وفي عام **1992** خلال الاحتفال بذكرى وصول كولمبس لنصف الكرة الأرضية الغربية، شهدت الولايات المتحدة العديد من حالات الاحتجاج حول ذلك الاحتفال، بسبب عملية الإبادة التي قام بها كولمبس ضد الهنود الحمر. ودعا الكثيرون إلى سرد الحكاية الحقيقة والحديث عن المذابح والإبادة التي تعرض لها الهنود.

مع دخول الولايات المتحدة عقد التسعينيات، ظل النظام السياسي، سواء كان ديمقراطيًّا أو جمهوريًّا، في أيدي من يملكون الثروة. فالبلاد منقسمة -بالرغم من أن الزعماء السياسيين لا يذكرون ذلك- إلى طبقتين من الثراء الفاحش والفقر المدقع، تفصل بينهما طبقة متوسطة معرضة للخطر، ولا تشعر بالأمان. لكن كان هناك الثقافة المناوئة دائمًا. ورغم أنها مسكوت عنها إلا أنها ترفض التخلي عن إيمانها بإمكانية قيام مجتمع أكثر مساواة وأكثر إنسانية.

الفصل الثالث والعشرون

سنوات كلينتون

بدأت رئاسة كلينتون بأمل أن يأتي ذلك الشاب الواعد بما وعد به: التغيير. لكن رئاسته انتهت دون أن يترك بصمة تاريخية. أحاطت به الفضائح، ولم يترك ميراثا مبدعًا في مجال السياسة الداخلية. ولم يتزحزح عن تعاليم السياسة الخارجية القومية في شكلها التقليدي. وقام بتوقيع تشريعات أسعدت الجمهوريين وأصحاب البيزنس الكبار أكثر مما أسعدت الديمقراطيين.

كان كلينتون راغبًا في استحضار حلم مارتن لوثر كينج بالمساواة العرقية وليس حلمه بمجتمع يرفض العنف. فرغم أن الاتحاد السوفيتي لم يعد يمثل تهديدًا فقد أصر كلينتون على أن تبقي الولايات المتحدة على قواتها العسكرية منتشرة في أرجاء العالم. وأن تكون لديها القدرة على خوض حربين إقليميتين في آن واحد. وأن تظل على ميزانيتها العسكرية عند معدلات فترة الحرب الباردة.

كان كلينتون معنيًّا بالفوز في الانتخابات، ولكي يحصل على أكبر عدد من أصوات الناخبين، تحرك كلينتون بالحزب الديمقراطي تجاه الوسط، وهذا يعني القيام بما يكفي من أجل السود والنساء والطبقة العاملة، كي يضمن دعمهم، وفي الوقت نفسه يحوز أصوات غلاة المحافظين ببرنامج يضمن الحسم مع الجريمة -العامل مع الجريمة عن طريق العقاب وليس الوقاية، واعتماد المبالغ المالية الضخمة لبناء مزيد من السجون، والإجراءات الحازمة في سبيل الرفاهية والحفاظ على القوة العسكرية للبلاد.

كان ثمة شيء مشترك بين من يملكون السلطة السياسية، سواء تعلق الأمر بكلينتون أو سابقيه من الجمهوريين. كان جميعهم يسعون من أجل الحفاظ على السلطة عن طريق تحويل الغضب نحو جماعات لا موارد لها ولا تستطيع الدفاع عن نفسها. كان

ينطبق على هؤلاء ما قاله الناقد الاجتماعي مينكين: إن هدف السياسة العملية هو الإبقاء على الناس في حالة قلق وفزع عن طريق تهديدهم بسلسلة لا تنتهي من القصص المختلفة التي لا أساس لها من الحقيقة.

كانت حكاية المجرمين أو السجناء من بين تلك القصص، كذلك المهاجرين والمستفيدين من برامج الرعاية الاجتماعية، وبعض الحكومات كالعراق وكوريا الشمالية وكوبا. فعن طريق صرف انتباه الشعب الأمريكي إلى هذه القصص، وعن طريق التهويل والمبالغة في خطرها، تستطيع الحكومة الأمريكية التغطية على إخفاقات النظام.

كان كلينتون والجمهوريون في اتحادهما ضد الحكومة الكبيرة يهدفان إلى تخفيض الخدمات الاجتماعية. أما تجليات الحكومة الكبيرة كالعقود الكبيرة مع المصانع العسكرية والدعم الكبير الذي تتلقاه، فقد كانت هناك دائمًا وعلى مستويات كبيرة. كانت الحكومة الكبيرة قد بدأت مع الآباء المؤسسين الذين عملوا على إقامة حكومة مركزية تعمل على حماية مصالح حاملي السندات ومالكي العبيد والمضاربين على الأراضي وأصحاب المصانع. واستمرت الحكومة على مدار المائتي عام التالية في خدمة مصالح الأثرياء، وحمايتهم من التمردات والإضرابات.

لم يشتك القادة السياسيون وأصحاب الشركات الكبرى من الحكومة الكبيرة إلا في القرن العشرين، عندما اضطرت الحكومة بسبب حركات الاحتجاج والمظاهرات، أن تمرر بعض القوانين الاجتماعية من أجل الفقراء، وذلك بعد أن زاد القلق من أن هذه الحركات قد تؤدي إلى خلخلة النظام السياسي للبلاد.

وأثناء رئاسة كلينتون استمرت الحكومة في إنفاق **250** مليار دولار سنويًّا على الأقل للحفاظ على الآلة العسكرية. كان كلينتون قد واجه اتهامًا أثناء حملته الانتخابية بأنه تفادى الخدمة العسكرية في أثناء حرب فيتنام مثله مثل شباب آخرين كثيرين. وبعد دخوله البيت الأبيض بدا كلينتون مصممًا على مسح صورته كهارب من تأدية الخدمة

العسكرية، وكان يغتنم أية فرصة لكي يصور نفسه مؤيدًا صميمًا للمؤسسة العسكرية. وقد استمرت الولايات المتحدة في عهد كلينتون في إمداد الكثير من الدول بالأسلحة. حتى إن إحدى الصحف وصفت الوضع: الولايات المتحدة حلت محل الاتحاد السوفيتي الذي كان يمثل أكبر المصادر للإمداد بالأسلحة على مستوى العالم. وفي أوائل عام 7991 كانت الولايات المتحدة تبيع أسلحة أكثر من كل دول العالم مجتمعة.

كان كلينتون تواقًا إلى الظهور في صورة القوي. لذا قام بقصف بغداد ردًا على مؤمراة مزعومة لا دليل عليها باغتيال الرئيس السابق جورج بوش في الكويت.

كانت سياسة كلينتون تنتهج النهج التقليدي للحزبين الجمهوري والديمقراطي الذي يؤكد على الإبقاء على علاقات ودودة مع أية حكومات طالما كانت في السلطة وتساعد الإدارة الأمريكية في صفقات تجارية عالية الربح، مهما كان سجل هذه الحكومات فيما يتعلق بحقوق الإنسان، مثل حكومة إندونيسيا.

تأثرت الثقافة الأمريكية كثيرًا بالحركات السياسية والاجتماعية في الستينيات على نحو يصعب التقليل من شأنه. لقد أصبح هناك وعي جديد لا تخطئه عين. وتجلى هذا الوعي الجديد، من وقت لآخر. في السينما والتلفزيون وفي الموسيقى. ورغم هذا الوعي كانت العنصرية لا تزال متغلغلة في المجتمع الأمريكي، والدليل هو استمرار البوليس في وحشيته ضد الملونين ومعدلات الوفيات العالية بين أطفال الملونين وارتفاع معدلات الجريمة والسجن. لكن لا شك أن البلاد صارت أكثر تنوعًا، وانتشر الزواج بين الأجناس المختلفة، حتى بات من المتوقع مساواة عدد الملونين الأمريكيين للبيض بحلول **2050**.

والسؤال الآن: هل من الممكن أن تتلاقى خيوط الاحتجاج والمقاومة، في السياسة والعمل والثقافة معًا في هذا القرن الجديد وهذه الألفية الجديدة، بحيث يتحقق وعد إعلان الاستقلال فيما يتعلق بالحقوق المتساوية في الحياة والحرية ونشدان السعادة؟

لا أحد يملك التنبؤ بالإجابة.

ولو فرض أن يكون للديمقراطية أي معنى، ولو كان لها أن تتجاوز حدود الرأسمالية والقومية، فإن هذا -إذا اتخذنا التاريخ مرشدًا ودليلاً- لن يأتي من فوق. لكنه سوف يأتي من خلال حركات المواطنين وتعليمهم وتنظيمهم وتحريضهم على الإضراب والمقاطعة والتظاهر، بما يهدد استقرار أولئك الذي يملكون السلطة.

الفصل الرابع والعشرون

الثورة القادمة لحراس النظام

يعد التاريخ الشعبي الأصعب في الإمساك به، وهو تاريخ لا يحترم الحكومات، لكنه يجل كثيرًا الحركات التي قام بها الشعب في سبيل المقاومة.

ومثل هذا التاريخ متحيز بطبيعته؛ لأنه يتكئ على اتجاه محدد. لكن هذا لا يزعجني لأن الجبل المصنوع من كتب التاريخ الذي نقف تحته يتكئ بكل ثقله على الجانب الآخر، ويجل الساسة والحكومات ولا يحترم الشعب ومقاومته.

يحاول التاريخ الرسمي ترسيخ مبدأ المنقذ والمخلص الذي يأتي دائمًا لإنقاذنا، مثل الآباء المؤسسين في فترة الثورة، ولينكولن في فترة العبودية. وتعلمنا تلك الكتب أن أسمى أفعال المواطنة هو الاختيار بين المنقذين المخلصين، عن طريق صندوق الانتخابات، للمفاضلة بين ذكرين أبيضين من الأنجلو سكسونيين الأثرياء. ولم تقتصر فكرة المنقذ على مجال السياسة فقط، بل ترسخت في بناء الثقافة كلها.

لكن رغم ذلك شهدت الولايات المتحدة العديد من الثورات والتمردات. وهذه التمردات والثورات تذكرنا بما تريد الدولة أن تمحوه من الأذهان، ونقصد به الطاقة الهائلة المكبوتة داخل المعدمين الذين يستطيعون الاعتراض على الأوضاع السيئة ويطالبون بالتغيير. ويهدف الكشف عن هذا التاريخ إظهار الحافز الداخلي الموجود لدى كل البشر، والذي يرغبون من خلاله في تأكيد آدميتهم. وهذا يعني كذلك أنه في أشد أوقات التشاؤم، فإن هناك دائمًا سبيلاً للمفاجآت.

لكن تقدير الوعي الجماهيري بأكثر مما يستحق، والمبالغة في إظهار الثورات ونجاحاتها يمكن أن يكون مضللاً، فإن الحقيقة الثابتة في العالم كله وليس الولايات

المتحدة فقط، هو أن زمام الأمور ما زال في أيدي المسؤولين الكبار، وأن الحركات الشعبية على الرغم من قدرتها على الظهور مرات لا نهائية فإنها إما أن تهزم أو تمتص أو تنحرف عن مسارها، كما حدث مع الحركات الاشتراكية التي خانت الاشتراكية، أو الحركات الوطنية التي انقلبت إلى دكتاتوريات جديدة.

لكن المؤكد أن جميع المؤرخين قاموا بالتقليل من شأن الثورات وبتضخيم أدوار رجال الدولة، وبالتالي توليد الإحساس بالعجز بين المواطنين. وإذا نظرنا بتمعن إلى حركات المقاومة أو الثورات فسنجد أن الضمير الوطني أو الإحساس بالظلم يختلف بين هؤلاء الناس ويتم -أيضًا- التعبير عنه بطرق مختلفة. ففي ظل نظام يقوم على التهديد والقبضة القوية، نجد أن الناس لا يظهرون كل ما يعرفون وما يشعرون به إلا إذا استطاعوا بحاستهم العملية أن يظهروها دون خوف من القضاء عليهم.

إن التاريخ الذي يسرد حركات المقاومة الشعبية يقترح تعريفات جديدة لمفهوم القوة. فالمفاهيم التقليدية ترى أن من يمتلك القوة هو من يمتلك القوة العسكرية والثروة والتحكم في الأيديولوجيا والتأثير على الثقافة، وبالقياس على هذه المعايير فإن معظم الثورات الشهيرة لا تستطيع أن تستمر لأنها لا تملك كل هذه المقومات.

وعلى كل حال فإن أي انتصار غير متوقع -حتى المؤقت منه- لأية حركة مقاومة أظهر ضعف هذه الحركات على الاستمرار. ففي ظل مجتمع متقدم لا تستطيع الدولة أن تستمر من غير ولاء الملايين وطاعتهم الذين تقدم لهم بعض المكافآت الصغيرة للمحافظة على استمرارية النظام، مثل رجال الشرطة والجيش والفنيين وعمال الإنتاج والمحامين والأطباء وعمال النقل ورجال الإطفاء وعمال النظافة. هؤلاء من يطلق عليهم "الموظفون" وهم يعدون إلى حد ما مميزين، واستطاعت الدولة أن تؤثر فيهم بطريقة غير مباشرة ليبقوا على ولائهم. هؤلاء من نريد أن نطلق عليهم "حراس النظام"؛ لأنهم يمثلون الحاجز بين الطبقة الفقيرة والطبقة العليا. ولو توقف هؤلاء

الناس عن ولائهم وطاعتهم للدولة، فإن ذلك سيؤدي إلى سقوطها.

وهذا سيحدث، في اعتقادي، عندما يشعر هؤلاء -من يحصلون على مزايا بسيطة لا توفر لهم القدر الكافي من الراحة- بأنهم مثل الحراس الذين يعملون في السجن. سيحدث عندما يشعرون أن الدولة على الرغم من منحهم هذه المزايا، تستطيع أن تتخلص منهم وتقتلهم لو تطلب الأمر ذلك لتبقى مجريات الأمور في يدها.

لكن حتمًا ستظهر حقائق جديدة بوضوح تؤدي إلى توقف هؤلاء عن الولاء لهذا النظام، كظهور التكنولوجيا أو ظروف اقتصادية أو قيام حرب. ففي عصر القنبلة الذرية سيكون من الصعب على حراس النظام أن يبقوا بمعزل عن المخاطر النفسية والبدنية التي يتعرض لها الفقراء والمجرمون والسود والأعداء في الخارج.

إن عولمة النظام الاقتصادي -النظام الاقتصادي تسبب في مشاكل للطبقة المتوسطة وأفقدها العديد من المميزات وأصبحت فرص العمل متدنية لتلك الطبقة على الرغم من الحصول على شهادات جامعية- وحركات اللاجئين والهجرة غير الشرعية جعلت من الصعب على الناس في المجتمعات الصناعية المتقدمة أن يبقوا بمنأى عن الظروف القاسية من فقر ومرض يتعرض له سكان الدول الفقيرة.

إن تهديد البطالة وشبح الفقر يكون تحت السيطرة مع الأسر الفقيرة، فهناك السجون، ولكن إذا تعرض أبناء الطبقة المتوسطة للبطالة والفقر سيؤدي ذلك إلى مشاكل. الفقراء معتادون على قلة الأموال والتعرض للضغوط، ولكن في السنوات الحالية دخلت الطبقة المتوسطة في الدائرة فأصبحت تشعر بارتفاع الأسعار والضرائب.

يتطلب التغيير الجذري نزع السلطات من أيدي من كان لهم الدور الكبير في الوضع الحالي مثل الشركات العملاقة والمؤسسة العسكرية والمتعاونين السياسيين. يتطلب -أيضًا- توحيد جهود الجماعات المحلية على مستوى البلاد كلها لإعادة بناء اقتصاد

يقوم على الكفاءة والعدل بما يساعد على الإنتاج بطريقة تعاونية لأكثر متطلبات الشعب احتياجًا.

يتطلب القيام بالتغيير الجذري الاستفادة من طاقات الحركات السابقة التي قام بها السود والعمال والهنود الحمر والشباب وغيرهم، علاوة على طاقة كبيرة لطبقة وسطى غاضبة. وسوف يتضمن هذا النضال التكتيكات التي استخدمت من قبل بواسطة الحركات الشعبية والاحتجاجات والمسيرات والمقاطعات والإضرابات والعصيان المدني. ستكون هناك عقبات وهزائم ولكن عندما تكون الحركة منتشرة في مئات بل ألوف الأماكن في البلاد، سيكون من الصعب إخمادها؛ لأن حراس النظام أنفسهم الذين تعتمد عليهم الدولة لحمايتها سيكونون في صفوف هذه الحركة.

الفصل الخامس والعشرون

انتخابات 2000 و"الحرب على الإرهاب"

عندما كان كلينتون ينهي فترته الرئاسية الثانية، كان من الواضح أن المرشح الديمقراطي آل جور نائب كلينتون هو الرئيس التالي. اختار الحزب الجمهوري جورج بوش، حاكم تكساس، المعروف بصلاته ومصالحه مع شركات البترول وسجله الحافل بتطبيق حكومة الإعدام على السجناء في فترة توليه حكم تكساس.

بالرغم من اتهام بوش لجور أثناء الحملة الانتخابية بالاحتكام إلى حرب الطبقات، فإن ترشيح جور لم يمثل أي تهديد للأغنياء. لقد دعمت الشركات الكبرى بوش بتبرعات مقدارها **220** مليون مقابل **170** مليون لحملة جور.

لم يكن لدى بوش أو جور خطة لتوفير الرعاية الصحية المجانية، أو تخفيض نسبة إيجار المساكن الباهظة أو الاهتمام بالبيئة. كان المرشحان يؤيدان عقوبة الإعدام ويسعيان لبناء مزيد من السجون، وكلاهما يؤيد الاستمرار في إنشاء مؤسسة عسكرية ضخمة، واستمرار العقوبات الاقتصادية على كوبا والعراق.

كان هناك مرشح ثالث هو رالف نادر الذي جاءت سمعته القوية من نقده المستمر، على مدار عقود، لهيمنة الشركات الكبرى على اقتصاد البلاد. كان برنامجه الانتخابي شديد الاختلاف عن برنامجي بوش وجور. حيث كان يركز في الدعاية على الرعاية الصحية والتعليم والبيئة. ولكن حيل بينه وبين المناظرات التي كانت تبثها قنوات التلفزيون الحكومية. ولم تتبرع لحملته الانتخابية شركات كبرى، كانت التبرعات تأتيه من أفراد يؤمنون بأهمية برنامجه الانتخابي.

وفي ظل اتفاق الحزبين الرئيسيين حول القضايا المختلفة للبلاد، كان من المتوقع

أن نصف الأمريكيين وخاصة أصحاب الدخول الدنيا لن يذهبوا إلى صندوق الانتخابات لعدم تحمسهم لأي من المرشحين.

اتضح بعد ذلك أن هذه الانتخابات كانت الأكثر عبثية في تاريخ البلاد. فقد حصل جور على مئات الآلاف من الأصوات أكثر من بوش. لكن الدستور يطالب بأن يحدد الناخبون من الفائز في كل ولاية على حدة. وتحدد أن يقوم ناخبو ولاية فلوريدا بتحديد الفائز في الانتخابات. وحدث جدال ما إذا كان بوش أو جور قد حصل على أصوات أكثر في ولاية فلوريدا. وكان بوش يتمتع بما لم يمتع به جور. فقد كان أخو بوش (جيب بوش) هو حاكم فلوريدا، وكانت وزيرة الخارجية بولاية فلوريدا -الجمهورية كاثرين هاريس- تملك سلطة التصديق على من الذي حصل على أصوات أكثر في فلوريدا، ومن ثم يكون الفائز بالرئاسة. سارعت هاريس، في ظل مواجهة مزاعم بتزييف الانتخابات، إلى إجراء عملية إعادة فرز جريئة للأصوات جعلت بوش في المقدمة.

انقسمت المحكمة الدستورية حول ما حدث، لكن في النهاية رفضت إعادة النظر في الانتخابات، بما يعني أنها كانت راغبة في أن ترى مرشحها المفضل بوش رئيسًا للبلاد.

بتوليه مقاليد السلطة، انطلق بوش في تنفيذ أجندته التي تسيطر عليها مصالح البيزنس. وصار الحزب الديمقراطي يمثل معارضة أليفة، مؤيدًا سياسة بوش الخارجية تأييدًا كاملاً، في حين يختلف داخليًّا معه حول بعض السياسات.

بدأ بوش بتخفيض الضرائب على الأثرياء، وزيادة الميزانية العسكرية، وعارض بشدة الإجراءات البيئية التي من شأنها أن تكلف البلاد والشركات الكبرى كثيرًا.

وبعد مرور تسعة شهور على رئاسة بوش، وقعت أحداث 11 سبتمبر المروعة. كان هذا هجومًا غير مسبوق على الرموز الكبرى للثروة والقوة الأمريكية، قام بهذا الهجوم

19 شخصًا من الشرق الأوسط معظمهم من السعودية، موجهين ضربة إلى ما رأوا بوضوح أنه عدوهم الذي يمثل قوة عظمى اعتقدت أنها عصية على الاختراق.

أعلن بوش الحرب على الإرهاب، وسارع الكونجرس بإعطاء بوش سلطة القيام بأعمال عسكرية دون إعلان الحرب الذي نص عليه الدستور. أمر بوش بقصف أفغانستان بوصفها تؤوي ابن لادن وتنظيمه.

كان يجب أن يكون واضحًا لبوش ومستشاريه أن الإرهاب لا يمكن هزيمته بالقوة. وهناك دلائل تاريخية تثبت ذلك. علاوة على ذلك فإن شهور القصف على أفغانستان كانت مروعة لبلد عانى عقودًا من الحرب الأهلية والدمار، وسقط آلاف المدنيين قتلى جراء ذلك القصف.

وقد بلغت حكومة الولايات المتحدة مدى كبيرًا في السيطرة على تدفق المعلومات القادمة من أفغانستان، حيث قامت بقصف مقر قناة الجزيرة.

كان الرأي العام الأمريكي منذ هجوم الحادي عشر من سبتمبر مؤيدًا لسياسة بوش بالحرب على الإرهاب. ودخل الحزب الديمقراطي في منافسة مع الحزب الجمهوري على من منهما يمتلك لغة أكثر حزمًا وحسمًا ضد الإرهاب. وانتشرت عادة وضع العلم الأمريكي على المنازل والسيارات وواجهات المحلات، وفي جو مثل هذا كان صعبًا انتقاد الحكومة. وبعض المواطنين الذين أعربوا عن انتقادات لبوش تم التحقيق معهم. كما أصدر الكونجرس قانون الوطنية الذي يسمح باعتقال من لا يحملون الجنسية الأمريكية دون اتهامات ودون الحق في الإجراءات التي نص عليها الدستور.

كانت هناك أصوات الأقلية المعارضة للحرب، وانتشرت المسيرات واللافتات التي تقول: "العدل وليس الحرب". وسافرت بعض العائلات الأمريكية التي فقدت ذويهم في أحداث **11** سبتمبر إلى أفغانستان لزيارة العائلات الأفغانية التي فقدت ذويها في القصف الأمريكي.

بعد تدخل الولايات المتحدة في العراق لم يعد بلدًا محررًا. لقد أصبح بلدًا محتلاً. صحيح أننا حررنا العراق من صدام، ولكن لم نحرره من أنفسنا. تمامًا كما حدث عام **1898**، قمنا بتحرير كوبا من الاحتلال الإسباني ولكن لم نحررها من أنفسنا. وكانت الولايات المتحدة تقرر نوع الدستور الذي يجب أن يحكم كوبا، تمامًا كما تقوم حكومتنا الآن بوضع دستور العراق.

لفت نظري أن استطلاعات الرأي بين الأفرو أمريكيين أظهرت أن **60٪** منهم يعارضون حرب العراق. وقال المعارضون لحملة قصف أفغانستان واحتلال العراق: إن جذور الإرهاب تتمثل في المظالم التي قامت بها الولايات المتحدة، ولا بد من الالتفات إلى هذه المظالم إذا أردنا القضاء على الإرهاب. ولم يكن من الصعب تحديد هذه المظالم، فهناك تمركز القوات الأمريكية في السعودية التي بها قبلة المسلمين، وهناك عشر سنوات من العقوبات الاقتصادية القاسية ضد العراق، وهناك الدعم المستمر لإسرائيل في احتلالها للأراضي الفلسطينية، ودعم قوتها العسكرية بمليارات الدولارات.

غير أنه من الصعب تناول هذه القضايا دون إجراء تغييرات جوهرية في السياسة الخارجية للولايات المتحدة. ومثل هذه التغييرات لا يمكن أن تقبل بها المؤسسة العسكرية والصناعية التي تهيمن على الحزبين الديمقراطي والجمهوري؛ لأن مثل هذه التغييرات ستتطلب انسحاب القوات الأمريكية من قواعدها في العالم، وهذا من شأنه أن ينال من دور الولايات المتحدة كقوة عظمى.

في مقال لضابط سابق في القوات الجوية الأمريكية -أصبح راعيًا كاثوليكيًّا- يقول: الشعوب لا تكرهنا لأننا نمارس الديمقراطية أو لأننا نقدر الحرية أو نلتزم بحقوق الإنسان. إنهم يكرهوننا لأن حكومتنا تنكر هذه الأشياء على شعوب العالم الثالث التي تنهب شركاتنا مواردها الطبيعية. هذه الكراهية التي بذرنا بذورها عادت إلينا تطاردنا كالأشباح في شكل الإرهاب.



هدية العدد 27 من مجلة كلمة حق ، أكتوبر 2019